دروس في التدبر

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ﴾

الجزء الخامس

تأليف

أبي عمرو سعيد بن مصطفى دياب

شبكة الألوكة

www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المقدمة

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُهُ، ونعوذُ به مِن شُرُورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ، فَلا هَادِي لَهُ.

وأَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.[1]

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.[2]

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.[3]

وبعد فهذا هو الجزء الخامسُ من: (دُرُوسٌ فِي التَّدَبُرِ) أسأل الله أن ينفع به وأن يجعله سببًا لتدبر كتابه، وذخرًا ليوم لقائه، وأن يجعله حجةً لنا لا علينا، إنه قريب مجيب.

قال ابن القيم رحمه الله: فَلَا شَيْء أَنْفَع للقلبِ من قِرَاءَة الْقُرْآن بالتدبرِ والتفكرِ؛ فَإِنَّهُ جَامع لجَمِيع منَازِل السائرين، واحوال العاملين، ومقامات العارفين، وَهُوَ الَّذِي يُورث الْمحبَّة والشوق، وَالْخَوْف والرجاء، والانابة والتوكل، وَالرِّضَا والتفويض، وَالشُّكْر وَالصَّبْر، وَسَائِر الاحوال الَّتِي بهَا حَيَاة الْقلب وكماله، وَكَذَلِكَ يزْجر عَن جَمِيع الصِّفَات والافعال المذمومة وَالَّتِي بهَا فَسَاد الْقلب وهلاكه، فَلَو علم النَّاس مَا فِي قِرَاءَة الْقُرْآن بالتدبر لاشتغلوا بهَا عَن كل مَا سواهَا، فَإِذا قَرَأَهُ بتفكر حَتَّى مر بِآيَة وَهُوَ مُحْتَاجًا إِلَيْهَا فِي شِفَاء قلبه، كررها وَلَو مائَة مرّة وَلَو لَيْلَة، فقراءة آيَة بتفكر وتفهم خير من قِرَاءَة ختمة بِغَيْر تدبر وتفهم، وأنفع للقلب وأدعى الى حُصُول الايمان وذوق حلاوة الْقُرْآن، وَهَذِه كَانَت عَادَة السّلف يردد احدهم الآية الى

---

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٠٢

٢ - سورة النساء: الآية/ ١

٣ - سورة الأحزاب: الآية/ ٧٠، ٧١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الصَّباح، وَقد ثَبت عَن النَّبِي أنه قَامَ بِآيَة يُرَدِّدهَا حَتَّى الصَّباح، وَهِي قَوْله: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، [الْمَائِدَة: ١١٨] فقراءة الْقُرْآن بالتفكر هِيَ أصل صَلَاح الْقلب؛ وَلِهَذَا قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: «لَا تَهُذُّوا الْقُرْآنَ، كَهَذِّ الشِّعْرِ، وَلَا تَنْثُرُوهُ نَثْرَ الدَّقَلِ، وَقِفُوا عِنْدَ عَجَائِبِهِ، وَحَرِّكُوا بِهِ الْقُلُوبَ، ولا يكنْ هَمُّ أَحَدِكُم آخِرَ السُّورَةِ».[1]

وينبغي على العاقل أن يجعل القرآنَ شُغْلَهُ الشَّاغِلَ، وأن تكون همته فهم مرادِ اللهِ تعالى من كلامه، وتدبر معانيه؛ قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّمَا هَذِهِ الْقُلُوبُ أَوْعِيَةٌ، فَاشْغَلُوهَا بِالْقُرْآنِ وَلَا تَشْغَلُوهَا بِغَيْرِهِ.[2]

سَعِيد بْن مُصْطَفَى دِيَابِ

الدوحة في: ١١رجب ١٤٤١هـ

الموافق: ٢٠٢٠/٣/٦م

١ – مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة (١/ ١٨٧)

٢ – مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ١٠٦)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَعْظَمُ النَّاسِ فَلَاحًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.[1]

تَأَمَّلْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾، بعدَ الأَمْرِ بالدَّعْوةِ إِلَى الْخَيْرِ وَالأمرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، لتعلم أن أعظم النَّاسِ فلاحًا، وأكثرهم نجاحًا هم الدعاة إلى الله.

وَهَلْ هُنَاكَ أَعْظَمُ فَلَاحًا مِمَنْ يَدُلُّ النَّاسَ عَلَى رَبِّهِم؟

وَهَلْ هُنَاكَ أَفْضَلُ حَالًا مِمَنْ يَأْمُرُ النَّاسَ بما يُحِبُهُ اللهُ ويرضَاهُ، ويَنْهَاهَم عَمَّا يُسْخِطُ اللهَ؟

أَلَيسَتْ الدَّعْوةُ إِلَى اللهِ سَبِيلَ الْمُرْسَلِينَ؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.[2]

أَلَيسَتْ دَلِيلًا عَلَى مُتَابَعَةِ خَاتَمِ الْمُرْسَلِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.[3]

فاحْرصْ يَا عَبْدَ اللهِ أَنْ تَكُونَ مِمَنْ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ.

وإياكَ أنْ تتبرَّمَ مِمَنْ يأمركُ بالخيرِ، ويَدُلّكَ على رَبِكَ، ويأخذُ بيَدِك إلى الجنَّةِ.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٠٤

٢ - سُورَةُ النَّحْلِ: الآية/ ٣٦

٣ - سُورَةُ يُوسُفَ: الآية/ ١٠٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الاختِلَافُ عِلةُ كلِ تَفَرَّقٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[1]

تَأَمَّلْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا﴾، لِتعْلَمَ أنَّ التَّفَرَّقَ أعظمُ أسبَابِ الاختلافِ، وأن الاختِلَافَ عِلةُ كلِ تَفَرَّقٍ.

ولما تَفَرَّقٍ أهلُ الكتابِ فكانوا شيعًا وأحزابًا، دَبَّ إليهم الاختلافُ حتى كَفَّرَ بعضُهم بعضًا، ولَعَنَ بعضَهم بعضًا.

وقد حذَّرَنَا اللهُ تَعَالَى في كتابه أشدَّ التَّحْذِيرِ مِنْ مغَبَّةِ التَّفَرَّقِ، وخوَّفَنَا مِنْ خَطْرِ الاختلافِ فَقَالَ: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾.[2]

وذَمَّ على التَّفَرَّقِ أبلغَ ذَمٍّ فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾.[3]

وعلمنا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنَّ المفارقةَ في الظاهرِ دليلُ اختلافِ القلوبِ؛ فعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «سَوُّوا صُفُوفَكُمْ لَا تَخْتَلِفُ قُلُوبُكُمْ».[4]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٠٥

٢ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٠٣

٣ – سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٥٩

٤ – رواه الدارمي– كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ فَضْلِ مَنْ يَصِلُ الصَّفَّ فِي الصَّلَاةِ، حديث رقم: ١٢٩٩، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والعكسُ بالعكسِ فاتفاقُ الظاهرِ دليلُ اتفاقِ القلوبِ؛ فعَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَالِفُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى فَإِنَّهُمْ لَا يُصَلُّونَ فِي خِفَافِهِمْ وَلَا فِي نِعَالِهِمْ».[1]

وامتن اللَّهُ تَعَالَى علينا باجتماعِ أُمَتِنَا بعدَ شَتَاتِها، وتأليفِ قُلوبِنَا افتراقِهَا، وتآخِينَا بَعْدَ عَدَاوَتِنا؛ فَقَالَ: ﴿وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾.[2]

١ – رواه أبو داود– كِتَاب الصَّلَاةِ، بَابُ الصَّلَاةِ فِي النَّعْلِ، حديث رقم: ٦٥٢، والحاكم– كِتَابُ الطَّهَارَةِ، حديث رقم: ٩٥٦، وابن حبان– كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ فَرْضِ مُتَابَعَةِ الْإِمَامِ، ذِكْرُ الْأَمْرِ بِالصَّلَاةِ فِي الْخِفَافِ وَالنِّعَالِ إِذْ أَهْلُ الْكِتَابِ لَا يَفْعَلُونَهُ، حديث رقم: ٢١٨٦، والبيهقي في السنن الكبرى– كتابُ الصلاةِ، بابُ المصَلّى إذا خَلَعَ نَعلَيه أينَ يَضَعُهُما؟ حديث رقم: ٤٣١٤، بسند صحيح

٢ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٠٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يومَ تسقطُ الأقنعةُ، وينكشفُ المستورُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ (١٠٦) وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[١]

تأمل حال الناس في ذلك اليوم الذي تسقط فيه الأقنعة، وتتجلى الحقائق، وينكشف المستور، وتبلى السرائر.

فكم من عزيز في الدنيا ذليل في الآخرة!

وكم من عظيم في الدنيا حقير مهان في الآخرة!

وكم من كاسية في الدنيا عارية في الآخرة! قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رُبَّ كَاسِيَةٍ فِي الدُّنْيَا عَارِيَةٍ فِي الآخِرَةِ».[٢]

تأمل تلك الوجوه التي كانت منعمة، من دونها تضرب الأستار والكلل.

تأمل تلك الوجوه الحسان التي بالغ أصحابها في تجميلها في الدنيا، وقد علتها كآبة الذلّ، وغشتيها ظلمة كظلمة الليل البهيم، بما اقترفوا من السَّيِّئَاتِ، وانتهكوا الحرمات؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَا أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِنَ اللَّيْلِ مُظْلِمًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[٣]

تَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ البدعِ، وَتَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ.

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٠٦، ١٠٧

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ التَّكْبِيرِ وَالتَّسْبِيحِ عِنْدَ التَّعَجُّبِ، حديث رقم: ٦٢٨١، عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

٣ – سُورَةُ يُونسَ: الآية/ ٢٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تَسْوَدُّ وُجُوهُ من كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ، وتكبروا على أمره؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْمُتَكَبِّرِينَ﴾.[1]

تأمل تلك الكآبة وذلك الحزن التي يملء قلوبهم حتى فاض على وجوههم فأظلمت من شدته.

فياله من شقاء لم يسبقه مثله، ولا يعقبه سرور!

وتأمل أولئك الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ، بما صبروا في الدنيا على طاعة ربهم، وصبروا عن محارمه، حين تضيء وجوهم من البشر كأنها الشمس المشرقة، أو القمر ليلة البدر!

تأمل تلك السعادة التي تملء قلوبهم حتى ظهرت على محياهم.

وتأمل ذلك الرضى الذي فاض من قلوبهم، حتى غمر قسمات وجوههم.

فياله من سرور ليس لم يسبقه مثله، ولا يعقبه كدر!

١ - سُورَةُ الزُّمَرِ: الآيَة/ ٦٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الظلمُ مُنْتَفٍ عنِ اللَّهِ تَعَالَى إرادةً وفعلًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾.[1]

تأملْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ﴾، لتعلمَ أنَّ كُلَّ مَا يُعَدُّ ظُلْمًا عندَ أصحابِ الْعُقُولِ السَّلِيمَةِ، والفِطَرِ السَّوِيَةِ الْمُستَقِيمَةِ مُنْتَفٍ عنِ اللَّهِ، وليس مُرَادً للَّهِ تَعَالَى.

ولتعلمَ أنَّ مَا يُصيبُ العبادَ مِنَ اللأواءِ والمصائبِ وصُنُوفِ البَلَاءِ، فبما كسبت أيديهم، وَما يَعْفُو عَنْه أكثرُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.[2]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾.[3]

وتأملْ لفظ: ﴿ظُلْمًا﴾، وهو نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ يَدُلُّ عَلَى انْتِفَاءِ كلِ ظُلْمٍ، ولو كان صغيرًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً وَلكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.[4]

فالظلم مُنْتَفٍ عنِ اللَّهِ تَعَالَى إرادةً وفعلًا، وكيف يظلم من عمت فواضله الخلائق، وتمت نوافله على البرايا، وأسبغ على العالمين نعمه، فالكل يلهج بحمده، ويثني عليه ببالغ فضله، ويشكره على عظيم آلائه.

وقد يبتلي الله تعالى العبادَ بصنوفِ البلاءِ ليرفعَ لهم الدرجاتِ، ويحطَّ عنهم السيئاتِ؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيّ، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٠٨

٢ – سُورَةُ الشُّورَى: الآية/ ٣٠

٣ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٧٩

٤ – سُورَةُ يُونُس: الآيَة/ ٤٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يُصِيبُ المسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ».[1]

١ - رواه البخاري- كِتَابُ المَرْضَى، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَفَّارَةِ المَرَضِ، حديث رقم: ٥٦٤١، ومسلم- بَابُ ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ حُزْنٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، حديث رقم: ٢٥٧٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مرجعُ كل أمرٍ إلى الله، ولا يملك الملكَ سواه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾.[1]

مخطئ من يظن أن أحدًا من الخلق له في ملك الله شيئٌ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ وَلا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾.[2]

ومخطئ من يظن أن أحدًا من الخلق يملك لغيره رزقًا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.[3]

ومخطئ من يظن أن أحدًا من الخلق يملك لغيره من دون الله نفعًا، أو ضرًّا، فمرجعُ كل أمرٍ إلى الله تعالى؛ ﴿وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾، والكل مفتقرٌ إلى الله تعالى محتاجٌ إليه في كل نفسٍ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[4]

فإذا كان لا يملك الملك إلا الله، ولا يملك الرزق سواه، ولا يجلب النفع، ولا يدفع الضرَّ غيره، فلم تعرض عن بابه، وتنأى عن رحابه، وترجو غيره، وتخشى سواه؟

قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ: دَخَلَ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ الْكَعْبَةَ، فَإِذَا بِسَالِمِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ: يَا سَالِمُ! سَلْنِي حَاجَةً. فَقَالَ: إِنِّي أَسْتَحْيِي مِنَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ أَسْأَلَ فِي بَيْتِ اللهِ غَيْرَ اللهِ. فَلَمَّا خَرَجَ خَرَجَ فِي إِثْرِهِ، فَقَالَ لَهُ: الْآنَ قَدْ خَرَجْتَ،

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٠٩

٢ – سُورَةُ سَبَإٍ: الْآيَة/ ٢٣، ٢٢

٣ – سُورَةُ الْعَنْكَبُوتِ: الْآيَة/ ١٧

٤ – سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الْآيَة/ ١٩٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَسَلْنِي حَاجَةً؟ فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ: مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا أَمْ مِنْ حَوَائِجِ الْآخِرَةِ؟ فَقَالَ: مِنْ حَوَائِجِ الدُّنْيَا. فَقَالَ لَهُ سَالِمٌ: أَمَا وَاللهِ مَا سَأَلْتُ الدُّنْيَا مَنْ يَمْلِكُهَا؛ فَكَيْفَ أَسْأَلُهَا مَنْ لَا يَمْلِكُهَا؟[1]

١ - رواه أبو بكر الدينوري في المجالسة وجواهر العلم (١/ ٣٨٥)

الشَّرفُ الذي يتقاصَرُ دُونَهُ كُلُ شَرَفٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ.....﴾.[1]

إِنَّهُ الشَّرفُ الذي يتقاصَرُ دُونَهُ كُلُ شَرَفٍ أن تكون من هذه الأمة المرحومة، أن تكون من خَيْرِ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، لكن هذا الشرفَ لا يتحقق بمجرد انتسابك لهذه الأمةِ.

ولا تنال هذا الفضل حتى تتصف بما ذكره الله تعالى من صفات المؤمنين من هذه الأمة.

قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ سَرَّه أَنْ يَكُونَ مِنْ تِلْكَ الْأُمَّةِ فَلْيؤدّ شَرْط اللَّهِ فِيهَا.[2]

وشَرْطُ اللَّهِ لتتحقق الخيرية الموعودة لأهل الأيمان من هذه الأمة أن يَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَأن يَنْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، مع إيمانهم بالله تعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾.

وإياك أن يغرك الشيطان بأن الناس يعرفون الحق والباطل، ويميزون بين الخير والشر، فقد قال الله تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[3]

وإنما نأتمر بالمعروف ونتناهى عن المنكر لنعتذر إلى الله تعالى من جرأة أهل المعاصي؛ ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَى رَبِّكُمْ﴾.[4]

ونَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَنَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ لعله أن يستجيب معرضٌ، أو يرعوي جامح، أو يفيق من غفلته لاه، أو يتوب للهِ عاصٍ؛ ﴿وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.[5]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١١٠

٢ – رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ (٥/ ٦٧٣)

٣ – سورة الذاريات: الآية/ ٥٥

٤ – سورة الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٦٤

٥ – سورة الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٦٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لَيْسَ بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾، أَيْ: قَلِيلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ، وَيُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهؤلاء الْمُؤْمِنُونَ الذين كانوا على التوحيد، فلما بعث رسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، آمنوا به ودخلوا في دينه والتزموا شريعته، وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ الذين آثروا الضَّلَالَةَ على الهدى، وَالْكُفْرَ على الإيمانِ، وَالْفِسْقَ وَالْعِصْيَانَ على التقوى والاستقامةِ.

ولا تتوهم أن أحدًا من أَهْلِ الْكِتَابِ اليومَ يتصفُ بالصلاحِ، أو يتحلَّى بالإيمانِ، وأَنَّى له ذلك وقد كَفَرَ بخاتمِ رُسُلِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وجَحَدَ نُبُوَّتَه؟

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».[2]

ولا يغرنك ما تراه من بعضِ المسلمينَ من الثناءِ عليهم، والتودد لهم، والْمُسَارَعَةِ فِي مَرْضَاتِهِم، والرضى عَنْ دِينِهِم، فقد جَاءَنَا كتابُ اللهِ بالحقِّ، وَلَيْسَ بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.[3]

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١١٠

٢ - رواه مسلم- كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ، حديث رقم: ١٥٣

٣ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَة/ ٦٨

وَلَن يُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ حتى يؤمنوا بما فيهما مِنْ البِشَارَاتِ بمحمدٍ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اسألوا التاريخَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى عن أَهْلِ الْكِتَابِ: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى﴾، وهي بشرى من اللَّهِ تَعَالَى للمسلمين بأن أَهْلَ الْكِتَابِ لا يملكون لكم نفعًا ولا ضرًّا، وَلا يملكون لأهل الإيمان إلا الْأَذَى هُوَ الْأَلَمُ الْخَفِيفُ، من جنس السباب والشتائم، وتشويه صورة الإسلام ونبي الإسلام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في الأفلام ووسائل الإعلام، والتخويف من الإسلام.

وليس كما يتوهم المنهزمون نفسيًّا ممن ينتسبون للإسلام أنه لو قامت حرب بين المسلمين أَهْلِ الْكِتَابِ، لدمروا المسلمين تدميرًا، واستأصلوا شأفتهم، وأبادوا خضراءهم.

فأين ما يتوهمه هؤلاء مما وعد به رب الأرض والسماءِ؟

بل يخبرنا الله تعالى بما هو أعظم من ذلك، ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾، والتاريخ خير شاهدِ، وليسأل المتشككون التاريخَ عما جرى يومَ اليرموك، ويومَ القادسية، وحطين وعين جالوت، وكيف تداعت دولة الفرس تحت سنابك خيل المسلمين، وكيف تحطمت إمبروطورية الروم بسيوف أهل الإيمان؟

وكيف أذل الله تعالى التتار بجنود التوحيد، فرجعوا يجرون أذيال الخيبة، قد شردوا في الأودية، ومزقهم الله كل ممزق؟

فيا عباد الله إننا ننتظر وعد الله الذي لا يتخلف بالنصر والتمكين؛ ﴿وَعْدَ اللَّهِ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.[2]

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١١١

٢ - سُورَةُ الرُّومِ: الآية/ ٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهم ينتظرون بَأْسَ اللهِ الَّذِي لَا يُرَدُّ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينِ، ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا﴾.[1]

وكيف ينتصر من كان الله خصمه؟

وكيف لا ينتصر من كان الله معه؛ ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.[2]

١ – سُورَةُ الْأَحْزَابِ: الآية/ ٦٢

٢ – سُورَةُ الْحَجِّ: الآية/ ٤٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العَجَبُ كُلُ العَجَبِ مِمَنْ يلتمسُ عِندَ أَذَلِّ النَّاسِ عزًّا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾.[1]

هذا حال اليهود لما اجترؤوا على الله تعالى وعصوا رسله عليهم السلام، أَذَلَّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فَلَا مَنَعَةَ لَهُمْ، لما يتصفون به من نقض العهود، وإثارة الفتن، وحياكة المؤامرات، وإيقاد نيران الحروب، وَاحْتِيَالِهِمْ عَلَى مَحَارِمِ اللهِ، وَمُخَالَفَتِهِمْ لأَوَامِرِ اللَّهِ عزَّ وجلَّ، فردَّ الله كيدهم في نحورهم، وَجَعَلَهُمُ اللَّهُ تَحْتَ أَقْدَامِ الْمُسْلِمِينَ، وسلط عليهم عبر التاريخ مَنِ اسْتَبَاحَ بَيْضَتَهم، وأرْغَم آنَافَهُمْ، ومزقهم شَرَّ مُمَزَّقٍ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ﴾.[2]

ومن ذلك أن اللَّهَ تعالى بَعَثَ عَلَيْهِمْ بُخْتَنَصَّرَ الْمَجُوسِيَّ، أَبْغَضُ خَلْقِ اللَّهِ إِلَيْهِ، فَسَبَا جَمِيعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وحملهم إِلَى بَابِلَ أُسَارَى، وَقَتَلَ مَنْ قَتَلَ منهم، وَخَرَّبَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، وَسَامَهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ.

ثُمَّ كَانُوا تَحْتَ قَهْرِ الْيُونَانِيِّينَ وَالْكَلْدَانِيِّينَ، ثُمَّ صَارُوا تَحْتَ قَهْرِ النَّصَارَى وَإِذْلَالِهِمْ، يأخذون مِنْهُمُ الْخَرَاجَ، يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ، ثُمَّ جَاءَ الْإِسْلَامُ وعاهدهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فأبوا إلا المكر والمخادعة، ونقضوا عهودهم، فأَذَلَّهُمُ اللَّهُ جميعًا، يَهُود خَيْبَر، ويَهُود بَنِي قَيْنُقَاع وَيَهُود بَنِي النَّضِير وَيَهُود بَنِي قُرَيْظَة، فقُتِلَ مَنْ قُتِلَ وشُرِّدَ مَنْ شُرِّدَ.

فتلك سنةُ الله تعالى فيهم؛ ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ﴾، هذا قولُ اللَّهِ تَعَالَى، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا؟﴾.[3]

فلا يأمن اليهود في مشارق الأرض ومغاربها، إلا إذا انضووا تحت سلطان غيرهم، وأذعنوا لهم إذعان العبد للسيد، قَالَ قَتَادَةُ: لَا تَلْقَى الْيَهُودَ بِبَلْدَةٍ إِلَّا وَجَدْتَهُمْ مِنْ أَذَلِّ النَّاسِ.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١١٢

٢ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٦٧

٣ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ١٢٢

قَالَ الْحَسَنُ: أَدْرَكَتْهُمْ هَذِهِ الْأُمَّةُ، وَإِنَّ الْمَجُوسَ لَتُجِيبُهُمُ الْجِزْيَةُ.

فالعَجَبُ كُلُ العَجَبِ مِمَنْ يلتمسُ عندَ أَذَلِّ النَّاسِ عزًّا، أو يرجو من أَجبنِ النَّاسِ نصرًا، أو يأمل عند من غَضِبَ اللهُ عليهم رضىً!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَخَصُّ صفَاتِ الْيَهُودِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾.[1]

تأمل قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى عن اليهودِ: ﴿وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾، هذا حالهم عند الله، وهذه منزلتهم، فالْغَضَبُ أَخَصُّ صفَاتِ الْيَهُودِ، وهم بذلك أسوءُ حالًا من النصارى، وأقبح وَصْفًا من الوثنيين؛ والعلة في ذلك أنهم علموا الحق فلم يقبلوه وأبوا إلا معاداته.

وتكرر ذكر غضب عليهم في القرآن فضحًا لهم، وهتكًا لأستارهم، وكشفًا لأسرارهم، حتى لا يغتر بحالهم مغترٌ، أو ينخدع بكلامهم غِرٌّ، فقد زعموا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وزعموا أنهم شعبُ الله المختارُ، وزعموا أنَّ الله عهد إليهم ألا يؤمنوا لرسول حتى يأتيهم بقربان تأكله النار، وأنهم لن تمسهم النار إلا أيامًا معدودة.

فردَّ الله افتراءاتهم، وفنَّدَ مزاعمهم، فقال تَعَالَى: ﴿بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنزلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنزلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.[2]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾.[3]

والعجيب أنهم يعلموا من أنفسهم أنهم مغضوبٌ عليهم؛ عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ زَيْدَ بْنَ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ يَسْأَلُ عَنِ الدِّينِ، وَيَتْبَعُهُ، فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ اليَهُودِ فَسَأَلَهُ عَنْ دِينِهِمْ، فَقَالَ: إِنِّي لَعَلِّي أَنْ أَدِينَ دِينَكُمْ، فَأَخْبِرْنِي، فَقَالَ: لاَ تَكُونُ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، قَالَ زَيْدٌ مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ غَضَبِ اللَّهِ، وَلاَ أَحْمِلُ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١١٢

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَة/ ٩٠

٣ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَة/ ٦٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنِّي أَسْتَطِيعُهُ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ زَيْدٌ: وَمَا الحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا، وَلاَ نَصْرَانِيًّا، وَلاَ يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، فَخَرَجَ زَيْدٌ فَلَقِيَ عَالِمًا مِنَ النَّصَارَى فَذَكَرَ مِثْلَهُ، فَقَالَ: لَنْ تَكُونَ عَلَى دِينِنَا حَتَّى تَأْخُذَ بِنَصِيبِكَ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، قَالَ: مَا أَفِرُّ إِلَّا مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، وَلاَ أَحْمِلُ مِنْ لَعْنَةِ اللَّهِ، وَلاَ مِنْ غَضَبِهِ شَيْئًا أَبَدًا، وَأَنِّي أَسْتَطِيعُ فَهَلْ تَدُلُّنِي عَلَى غَيْرِهِ، قَالَ: مَا أَعْلَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ حَنِيفًا، قَالَ: وَمَا الحَنِيفُ؟ قَالَ: دِينُ إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَكُنْ يَهُودِيًّا وَلاَ نَصْرَانِيًّا، وَلاَ يَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ، فَلَمَّا رَأَى زَيْدٌ قَوْلَهُمْ فِي إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ خَرَجَ، فَلَمَّا بَرَزَ رَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهَدُ أَنِّي عَلَى دِينِ إِبْرَاهِيمَ".[1]

وَجمع الله تعالى لهم بين الغضب واللعنِ فقَالَ تَعَالَى: ﴿لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.[2]

والعجب كل العجب ممن يثني عليهم ويتقرب إليهم، ويواليهم، ويحبهم ممن ينتسب للإسلام، وما فعل ذلك إلا لأنهم تشابهت قلوبهم.

١ – رواه البخاري– كتَابُ مَنَاقِبِ الأَنْصَارِ، بَابُ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْلٍ، حديث رقم: ٣٨٢٧

٢ – سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَة/ ٧٨، ٧٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْمَعْصِيَةُ تُورِثُ الذُّلَّ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا.....﴾. ثم تأمل العلة التي من أجلها أذلهم الله تعالى؛ ﴿.....ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾!

إنها الذنوب والمعاصي، والاستهانة بأمر الله تعالى، وتعدي حدوده..... أعظم أسباب الذلّ.

وَلما كانت معصية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، معصية لمن أرسله تعالى، كان لمن خالف أمره من الذُّلّ وَالصَّغَارِ بقدر مخالفته؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذُّلُّ وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي».[2]

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنَّهُمْ وَإِنْ طَفْطَفَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ، وَهَمْلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَاذِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَا يُفَارِقُ قُلُوبَهُمْ، أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ.

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ:

رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ

***** وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِدْمَانُهَا

وَتَرْكُ الذُّنُوبِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ

***** وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عِصْيَانُهَا

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١١٢

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٥١١٤، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١/ ٢١٣)، بسند ضعيف

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وَهَلْ أَفْسَدَ الدِّينَ إِلَّا الْمُلُوكُ

***** وَأَحْبَارُ سُوءٍ وَرُهْبَانُهَا

وهي من أعظم أسبابِ جرأة الشياطين على العبد؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾.[1]

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الإنصافُ مع النَّاسِ جميعًا منهجُ القرآن

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ (١١٣) يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٤) وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴾.[1]

تأمل قولَ اللَّهِ تَعَالَى عَنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾، لتعلم كيف يعلمنا الله تعالى الإنصاف مع الناس جميعًا حتى الخصوم.

فمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أناسٌ صالحون، وعُبَّادٌ لله قانتون، وهؤلاء منهم من مَاتَ قَبْلَ أن يُدْرِكَ شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ، ومَنْ أَدْرَكَ منهم شَرِيعَةَ الْإِسْلَامِ آمَنَ بالرسولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَآمَنَ بِالْقُرْآنِ، مع إيمانه بِكِتَابِهِ.

وهؤلاء أثنى الله تعالى عليهم ووعدهم كفلين من الأجر فَقَالَ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ بِهِ يُؤْمِنُونَ * وَإِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ * أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [الْقَصَصِ: ٥٢-٥٤]، يُؤْتَوْنَ أَجْرَيْنِ بِإِيمَانِهِمْ بِمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَبِإِيمَانِهِمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَعَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ: رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمَنَ بِنَبِيِّهِ، وَأَدْرَكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١١٣- ١١٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وَصَدَّقَهُ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَعَبْدٌ مَمْلُوكٌ أَدَّى حَقَّ اللهِ تَعَالَى وَحَقَّ سَيِّدِهِ، فَلَهُ أَجْرَانِ، وَرَجُلٌ كَانَتْ لَهُ أَمَةٌ فَغَذَّاهَا، فَأَحْسَنَ غِذَاءَهَا، ثُمَّ أَدَّبَهَا فَأَحْسَنَ أَدَبَهَا، ثُمَّ أَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا فَلَهُ أَجْرَانِ».[1]

وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أناسٌ كَفَرَةٌ فَجَرَةٌ، هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ حالًا، وأرذلهم أخلاقًا، وأقبحهم مآلًا، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾.[2]

وهم الذين يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا، ويرون الحقَّ أبلجَ ثُمَّ يُحارِبُونه، وَيَعْرِفُونَهُ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ ثم يعادونه ويحاربون دينه.

وإياك أن تتوهم أنه بقي مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ بعد بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَ يوصفُ بالصَّلاحِ مع استمراره على كفرِهِ، ومعاداته لخاتم الرسل، وخير الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ اتِّخَاذِ السَّرَارِيِّ، وَمَنْ أَعْتَقَ جَارِيَتَهُ ثُمَّ تَزَوَّجَهَا، حديث رقم: ٥٠٨٣، ومسلم– كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ، حديث رقم: ١٥٤

٢ – سُورَةُ الْبَيِّنَةِ: الآية/ ٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يومَ تتقطَعُ عَلَائِقُ الأَنْسَابِ، وتنفَصِمُ عُرَى القَرَابَاتِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[1]

يحرصُ الإنسانُ على جمع الأموال في الدنيا لتكون عونًا له في الشدائدِ، ويحرصُ على انجابِ الأولاد ليكونوا سَنَدًا له في الْمُلِمَاتِ، ولكن إذا كانت الشدائدُ والْمُلِمَاتُ أُخْرَوِيَةً، فلا ينفعُ مالٌ ولا بنونَ؛ كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾.[2]

وَلَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ؛ لأنه يوم تتقطع فيه علائقُ الأنسابِ، وتنفصمُ عُرَى القَرَابَاتِ؛ ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾.[3]

وَيسعى كل واحدٍ في فداءِ نفسه، وفكاك رقبته، وَلو هلكَ مَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا، هذا حال أهل الإيمان فكيف بأهل الإجرام؟

قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ * وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ * وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنْجِيهِ * كَلا﴾.[4]

وتأملْ كيفَ قدَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الأَمْوَالَ عَلَى الأَوْلَادِ هنا!

والعلة هي شدةُ حرصِ النَّاسِ على جمعِ المال في الدنيا مِنْ حلِهِ وحرامِهِ، ومزيدُ اعتنائهم بحفظه وتكثيرِهِ، وتقديمه في أول ما يقدمون لدفع المكاره، واتقاء البلاءِ، فيحسب أحدهم أن ذلك نافعه يوم القيامة؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأَهْوَنِ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ كَانَتْ لَكَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، أَكُنْتَ

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١١٦

٢ – سُورَةُ الشعراءِ: الْآيَة/ ٨٨، ٨٩

٣ – سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ: الْآيَة/ ١٠١

٤ – سُورَةُ الْمَعَارِجِ: الْآيَة/ ١٠– ١٥

مُفْتَدِيًا بِهَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَقُولُ: قَدْ أَرَدْتُ مِنْكَ أَهْوَنَ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ: أَنْ لَا تُشْرِكَ فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ».[1]

فاحذر يا عبد الله أن تكون كهذا الشقي الذي يدعو يوم القيامة على نفسه بالويل والثبور، ويصرخ نادمًا، ولات حين مندم قائلًا: ﴿يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾.[2]

١ – رواه مسلم– كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ طَلَبِ الْكَافِرِ الْفِدَاءَ بِمِلْءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا، حديث رقم: ٢٨٠٥

٢ – سُورَةُ الْحَاقَّةِ: الْآيَة/ ٢٧– ٢٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أثرُ الكفرِ والمعاصي على الطاعاتِ والقرباتِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.[1]

تأملْ أثرَ الكفرِ والمعاصي على الطاعاتِ والقرباتِ!

الكفرُ سيئةٌ لا تنفعُ معها حسنةٌ، قد ينفقُ بعضُ الْكُفَّارِ أَمْوَالَهم فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ، ولكن لكفرهم لَا يَنْتَفِعُونَ بشيء منها فِي الآخِرَةِ، وَلَا تُغْنِي عَنْهُمْ يومَ القيامةِ شَيْئًا.

كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾.[2]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾.[3]

وإنما لَمْ يَتَقَبَّلْ اللَّهُ تَعَالَى منهم نَفَقَاتِهِمْ؛ لِأَنَّ الْإِيمَانَ شَرْطٌ فِي قَبُولِ الْأَعْمَالِ، واللَّهُ تَعَالَى لا يقبلُ مِنَ الْأَعْمَالِ إِلَا مَا كَانَ خالصًا لوجهِهِ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ».[4]

هذا حالُ الكفَّارِ، وهذا أثرُ الكفرِ صاحبِهِ، وعلى الطاعات والقربات.

ولكن هل تعلم أن هذا أثر الذنوب والمعاصي على أهل الإيمان، وعلى طاعاتهم، وقرباتهم؟

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مَنْثُورًا» قَالُوا: يَا رَسُولَ

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١١٧

٢ – سُورَةُ الْفُرْقَانِ: الْآيَة/ ٢٣

٣ – سُورَةُ النُّورِ: الْآيَة/ ٣٩

٤ – رواه مسلم– كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ مَنْ أَشْرَكَ فِي عَمَلِهِ غَيْرَ اللهِ، حديث رقم: ٢٩٨٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا لِكَيْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ مِنْ إِخْوَانِكُمْ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا».[1]

فاحذر يا عبد الله أن تكون ممن إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا!

١ – رواه ابن ماجه– كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ ذِكْرِ الذُّنُوبِ، حديث رقم: ٤٢٤٥، والطبراني في الأوسط– حديث رقم: ٤٦٣٢، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لنا في التاريخِ شواهدُ عزٍ، وأماراتُ شموخٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.[1]

تأمل قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالا﴾، لتعلم سبب النكبات التي يمر بها المسلمون، وسبب انحطاطهم، بعد رفعتهم، وسبب ضعفهم بعد قوتهم، وسبب ذلهم بعد عزهم!

لا تفسير لما تمر به الأمة الإسلامية من الضعف والهوان والتخف والانحطاط إلا أننا أسلمنا قيادنا لليهود والنصارى، ووثقنا فيهم أعظم من ثقتنا في أنفسنا، وأحسنا الظن بهم، مع تحذير الله تعالى لنا من الثقة بهم، فكانت النتيجة الحتمية، أننا في ذيل الأمم، بعد أن كنا لهم قادة، نتلمس الطريق تلمس الأعمى، بعد أن كنا أعلام هدى ومصابيح دجى.

واسأل عن خبراء التربية والتعليم والصحة والزراعة والصناعة والاقتصاد في الدول الإسلامية فستجد جلهم من اليهود والنصارى، ثم انظر إلى واقع تلك المجالات في بلاد المسلمين، هل حققنا فيها نجاحًا؟ هل أصبنا فيها فلاحًا؟

سيخبرك واقعنا الأليم عن سوء حالنا، وعن تردي أوضاعنا، وعن فجوة سحيقة بيننا وبين ديننا.

حتى الدين أصغينا لهم سمعًا حين طالبوا بتجديد خطابه، فانبرى منا من ينادي بهدم ثوابتنا، ونبذ نصوص شريعتنا، بدعوى التجديد والإصلاح.

والسبب أن هؤلاء الخبراء ما قصروا في إفساد معايشنا وطمس هويتنا وتغريب أمتنا، وسلخنا عن ديننا.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١١٨

ووالله ثم والله لا عز لهذ الأمة إلا الاعتصام بكتاب ربها، والتمسك بسنة نبيها، ولنا في التاريخ شواهد عزٍ، وأمارات شموخ، حين كنا نعتز بديننا، ونستعلي بعقيدتنا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الخوفُ مِنَ الإِسْلاَمِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.[1]

تأمل قوله تَعَالَى: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾، واستمع إلى ما يدور في وسائل الإعلام الغربية في أوربا وأمريكا، من بث الكراهية والتخويف من الإسلام والمسلمين، والتشنيع على المسلمين وإلصاق كل نقيصة بهم، تنفيرًا للناس عن الإسلام وكراهية للمسلمين!

ولم يقتصر الأمر على وسائل الإعلام حتى تخطى ذلك إلى الكنائس والقساوسة الذين يبثون الكراهية للمسلمين، ويحذرون أتباعهم من الإسلام والمسلمين.

أما الشرق فإنه أسوء من الغرب حالًا، وأشدُ تعصبًا، وأكثر عداءًا، وحال المسلمين في مينمار لا يخفى على أحدٍ، وما يحدث لمسلمي الإيجور في الصين تقشعر من هوله الأبدان، وتشيب له نواصي الولدان، وحالهم في الهند يدمع العين ويدمي الكبد، وحالهم في افريقيا الوسطى يفوق في بشاعته الوصف.

لمثلِ هذا يذوبُ القلبُ من كمدٍ

***** إن كان في القلبِ إسلامٌ وإيمانٌ

وتأمل قوله تَعَالَى: ﴿وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾، أكبر مما يتلفظون به من سب وشتم ولعن وطعن، أكبر من التصريح بالعداوة والبغضاء، وحادثة أمس الأول أكبر دليل على عداوتهم التي فاقت كل حد، وعلى بغضهم الذي جاوز كل وصف، حين يخرج بعض هؤلاء وقد امتلأت صدورهم بالحقد، ليقتل خمسين مسلمًا ويصيب ضعفهم من المصلين العزل بالمساجد على أنغام الموسيقى وقت صلاة الجمعة ومنهم نساء وأطفال، ثم يخرج علينا السيناتور

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١١٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الإسترالي (فريزر أنينغ) ليبرر فعله الشائن، ويسوغ جريمته الشنعاء، وينحو بالائمة على المسلمين لأنهم هاجروا إلى نيوزلندا.

فلم يقل هذا المجرم الثاني في بشاعته، وشناعته، وقبحه عن المجرم الأول.

وتغافل ذلك الأفاك الأثيم الكذاب الأشر عن حقيقة أن جميع سكان نيوزلندا واستراليا مهاجرون.

لتنتظم تلك المجزرة في سلسلة مجازر تمتد عبر التاريخ ضد المسلمين، على يد اليهود والنصارى والبوذيين، ومازال إعلامهم الفاجر يتشدق ب (الإسلام فوبيا) ، والإرهاب الإسلامي، والتطرف الإسلامي، والأصولية الإسلامية، وما سمعنا أحدًا تكلم عن الإرهاب المسيحي، والتطرف اليهودي، ولا الحقد البوذي.

لكم الله يا أهل الإسلام، فقد صرتم كالأيتام على موائد اللئام، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا يرضى بمودتهم إلا خِبٌّ لئيمٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الأنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.[1]

تأمل قوله تَعَالَى: ﴿هَا أَنْتُمْ أُولاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلا يُحِبُّونَكُمْ﴾، إنه إخبار الله تعالى الذي لا تخفى عليه خافية، الذي يعلم مكنونات النفوس، وما تخفي الصدور.

لا يُحِبُّونَكُمْ لدينكم وعقيدتكم، وقديمًا قيل: (عدوك عدو دينك)، ويظهر الأمر جليًّا كل يومٍ.

وتأخذ الكراهية لأهل الإسلام صورًا شتى وأشكالًا كثيرة، فتارة يكون بالطعن في القرآن، وأخرى بالسخرية والاستهزاء من رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وثالثة بالاعتداء على المسلمين، وتلك دماء المسلمين في نيوزلندا لم تجف، ورابعة بالتعدي على المساجد والمراكز الإسلامية، وخامسة بمنعهم من إقامة شعائر دينهم والحيلولة دون تمسكهم بهويتهم، وما منع النقاب في أوربا عنا ببعيدٍ، وسادسة بالتدخل في شؤونهم ومنعهم من تحكيم شريعة ربهم.

وأشكال الكراهية كثيرة، في كل عصرٍ وفي كل مصرٍ، والشواهد عليها تنطق بلسان فصيح، ومنطق بليغ: ﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾.[2]

فلا ينخدع بعد ذلك بمعسول كلامهم إلا غرٌّ جاهلٌ، ولا يرضى بمودتهم إلا خِبٌّ لئيمٌ، ولا يثني عليهم ويركن إليهم إلا متملقٌ ذليلٌ.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١١٩

٢ - سُورَةُ الْبُرُوجِ: الْآيَة/ ٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

غرَّهُم بريقُ الغربِ الزائفِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.[1]

تأملْ قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ﴾، يحزن أعداء الإسلام أمن المسلمين وطمأنينتهم، ورغد عيشهم، وألفتهم، وقوة بأسهم، وعفة نسائهم، وصلاح شبابهم، وتماسك مجتمعاتهم، فيسعى أعداءُ المسلمين بكلِ سبيلٍ لنشرِ الرذيلةِ وإشاعةِ الفواحشِ بين أبناءِ الأمةِ، ونثرِ بذورِ الشقاقِ بين المسلمينَ، وإحياءِ النعراتِ الجاهليةِ، لينقلب الودُ عداءًا، والألفةُ فُرقةً وشقاقًا، ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾.[2]

وَهذا شاهدٌ من شواهدِ عدَائِهم للإسلامِ وأهلهِ: مَرَّ شَاسُ بْنُ قَيْسٍ، وَكَانَ شَيْخًا قَدْ عَسَا، عَظِيمَ الْكُفْرِ شَدِيدَ الضَّغَنِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، شَدِيدَ الْحَسَدِ لَهُمْ، عَلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الْأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ فِي مَجْلِسٍ قَدْ جَمَعَهُمْ، يَتَحَدَّثُونَ فِيهِ، فَغَاظَهُ مَا رَأَى مِنْ أُلْفَتِهِمْ وَجَمَاعَتِهِمْ، وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِهِمْ عَلَى الْإِسْلَامِ، بَعْدَ الَّذِي كَانَ بَيْنَهُمْ مِنْ الْعَدَاوَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. فَقَالَ: قَدْ اجْتَمَعَ مَلَأُ بَنِي قَيْلَةَ بِهَذِهِ الْبِلَادِ، لَا وَاَللَّهِ مَا لَنَا مَعَهُمْ إذَا اجْتَمَعَ مَلَؤُهُمْ بِهَا مِنْ قَرَارٍ. فَأَمَرَ فَتًى شَابًّا مِنْ يَهُودَ كَانَ مَعَهُمْ، فَقَالَ: اعْمِدْ إلَيْهِمْ، فَاجْلِسْ مَعَهُمْ، ثُمَّ اُذْكُرْ يَوْمَ بُعَاثَ وَمَا كَانَ قَبْلَهُ وَأَنْشِدْهُمْ بَعْضَ مَا كَانُوا تَقَاوَلُوا فِيهِ مِنْ الْأَشْعَارِ، فَفَعَلَ فَتَنَازَعَ الْقَوْمُ حَتَّى تواعدوا للقتالِ، وهذه مكيدةُ رجلٍ واحدٍ فكيف إذا كان الذي يكيد لنا دولٌ وأجهزةُ مخابراتٍ؟

فكم من أرحام قطعت، وحرمات انتهكت، حين أصغى بعض المسلمين السمع لأعداء الأمة!

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٢٠

٢ – سُورَةُ التوبة: الْآيَة/ ٤٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكم من بلية كانت بالأمس جريمة نكراء، وإذا بها اليومَ مصدرُ بهجةٍ وإسعادٍ حين جعلنا من اليهود والنصارى، منائر هدى وإرشاد.

وما نسمعه كل يوم من دعوات لتحرير المرأة، إنما هي في الحقيقة دعوة لنشر الرذيلة، وإشاعة الفاحشة، وأن تكون المرأة سلعة رخيصة تباع وتشترى، واسألوا أرباب الاقتصاد كم تشكل تجارة الرقيق الأبيض في كثير من الدول التي يزعمون أنها متقدمة، ويتوهمون أنها متحضرة؟

وما نراه كل يوم ونسمعه من طعن في ثوابت الدين، وتشويه لأعلامه المبرَّزِين، وفصل حاضر الأمة عن ماضيها، إلا لينشأ جيل من الشباب لا يعرف له قدوة إلا الساقطين والساقطات، فيغره بريق الغرب الزائف، وحريته المزعومة، فتنشأ تلك الأجيال الممسوخة التي لا تعرف لها أصلًا، ولا ترى لها هدفًا.

فيؤول الأمر إلى تدمير قوة هذه الأمة، وضياع هويتها، بعد ضياع دينها.

ولا سبيل لنا إلى البقاء إلا بالحفاظ على ديننا، ولا سبيل لنا إلى الحفاظ على ديننا إلا بالحذر من أعدائنا.

سبيلُ النجاةِ من كيدِ الأعداءِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾.[1]

تأملْ قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾، لتعلم أن كيدَ أعداء الإسلام لا يقف عند حدٍ، ولا ينتهي عند أمدٍ، ومع ذلك فسبيل النجاة من كيد أعداء الإسلام يكون بأمرين: الأولُ التَّحَلِّي بالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاتِّبَاعِ أَمْرِهِ، وَاجْتِنَابِ مَا نَهَى عَنْهُ سبحانه مِنَ اتِّخَاذِ بِطَانَةٍ مِنْ أعداءِ اللَّهِ.

والثاني: التزامُ تَقْوَى اللهِ تَعَالَى باجْتِنَابِ مَا نَهَى عَنْهُ، وَالتَّوَكُّلِ عَلَيهِ تعالى.

وجَعَلَ سبحانه وتعالى ذلك شرطًا للنَّجاةِ مِنْ مَكْرِ أعدائهم وغَوَائِلِهِم.

وَتأملْ قولَهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾، لتعلم أنهم لا يملكون لأهل الإيمان من الضررِ شَيْئًا يذكرُ لو امتثل المؤمنون أوامر الله تعالى، واجتنبوا أسباب سخطه.

أما الأذى باللسان لأهل الإيمان، وإظهار الشماتة فيما يصيب المسلمين من نكبات، فهذا أقصى ما يستطيعونه؛ كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾.[2]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلا أَذًى وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾.[3]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٢٠

٢ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٨٦

٣ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١١١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الفشلُ النتيجةُ الحتميةُ للتنازعِ والاختلافِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.[1]

تأملْ قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾، قد لا يريد الإنسان الفشل ولكنه إذا فعل ما يؤدي إلى الفشل، وما يتسببُ فيه كأنه أراده، وسعي إليه، فقد هَمَّتْ بَنُو سَلَمَةَ مِنَ الْخَزْرَجِ، وَبَنُو حَارِثَةَ مِنَ الْأَوْسِ، أَنْ يَرْجِعُوا عَنِ الْقِتَالِ يومَ أُحُدٍ، وأخبرنا الله تعالى أنه همٌّ بالفشلِ.

وأخبرنا اللَّهُ تَعَالَى أن من أعظمِ أسبابِ الفشلِ التنازعَ والاختلاف؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.[2]

فمن تنازع من المسلمين، وسعى إلى الاختلاف والشقاق، فهو مريد للفشل لا محالة، ولا يشفع له أنه ما أراد الفشل، وما قصده؛ لأنه النتيجة الحتمية للتنازع والاختلاف.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٢١، ١٢٢

٢ - سُورَةُ الْأَنْفَال: الآية/ ٤٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لا يبالي أحدهم بالدنيا إذا اجتمعت

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[1]

تأملْ قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾، إذا كان الله معك تحول ذُلَّكَ عزًّا، وانقلب ضَعْفُكَ قوةً.

إذا كان الله معك كان معك كل شيء، ألم تسمع قول الله تعالى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ﴾؟[2]

وإذا فاتك الله فاتك كل شيء؛ ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾؟[3]

فليست العبرة في النصر بالعدد ولا بالعدد، إنما العبرة بمن كان الله معه.

ومن كان الله معه كانت معه الفئة التي لا تغلب، ومن ان الله معه كانت معه القوة التي لا تقهر.

مفهوم يغيب عن أذهان كثير منا فينعجم البليغ في المقال، وترتعد فرائص الأبطال، إذا ذكر لهم ما عليه أعداؤهم من القوة والبطش.

ويترسخ هذا المفهوم عند آخرين فلا يبالي أحدهم بالدنيا إذا اجتمعت؛ لأنه يأوي إلى ركن شديدٍ، ويعتمد بقلبه على العزيز الحميد.

لَمَّا أَقْبَلَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الْعِرَاقِ قَالَ له رَجُلٌ مِنْ نَصَارَى الْعَرَبِ: مَا أَكْثَرَ الرُّومَ وَأَقَلَّ الْمُسْلِمِينَ! فَقَالَ خَالِدٌ: وَيْلَكَ، أَتُخَوِّفُنِي بِالرُّومِ؟

إِنَّمَا تَكْثُرُ الْجُنُودُ بِالنَّصْرِ، وَتَقِلُّ بِالْخِذْلَانِ لَا بِعَدَدِ الرِّجَالِ، وَاللَّهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ الْأَشْقَرَ بَرَاءٌ مِنْ تَوَجِّيهِ وَأَنَّهُمْ أَضْعَفُوا فِي الْعَدَدِ. وَكَانَ فَرَسُهُ قَدْ حَفِيَ وَاشْتَكَى فِي مَجِيئِهِ مِنَ الْعِرَاقِ.

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٢٣

٢ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦٠

٣ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تقوى اللهِ أقرب سبيل لشكره

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[1]

تأملْ قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾، لتعلم أن تقوى اللهِ أقرب سبيل يوصلك لشكر الله تعالى.

فإن تقوى الله تعالى هي امتثال الأمر واجتناب النهي، فمن لم يمتثل أمر الله تعالى، ولم يجتنب نهي الله تعالى كيف يؤدي شكر نعم الله تعالى؟

وَمَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَلَمْ يحملْها على التَّقْوَى، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، كيفَ يُرْجَى لَهُ أَنْ يَكُونَ شَاكِرًا، يَصْرِفُ النِّعَمَ فِيمَا يحبهُ الله ويرضاه؟

ونظير هذا الاقتران بين التقوى والشكر، الاقتران بين الصبر والشكر في قولِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.[2]

فلا يكون العبد صابرًا حتى يصبرَ على الطاعات، ويصبرَ عن الآثام والمحرمات، ويصبرَ فِي الضَّرَّاءِ، ومن كان كذلك كان أهلًا لأن يكون من الشاكرين.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٢٣

٢ - سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ: الآية/ ٥

كلمات تهدم كل النظريات الحربية

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (١٢٤) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.[١]

تأمل رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين، ودفاعه عنهم، ورفقه بهم، وإحسانه إليهم، يرسل اللَّهُ تَعَالَى الْمَلَائِكَةَ لتثبيتِ الْمُؤْمِنِينَ، وتطمينِ قُلُوبِهِمْ، وإلقاء الرُّعْبِ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾.[٢]

تأمل تلك العبارات الرقراقة، والنسائم الحانية في هذه الآيات المباركة التي تحمل البشرى بالخير العميم، والنصر العظيم، للفئة المؤمنة، على صبرهم وتقواهم لله تعالى.

وتأمل وعدَ الله الذي لا يتخلف، وسنته الماضية في عباده، بنصر من آمن به أطاعه، وخذلان من كفر به وعصاه، ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

نعم ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، كلمات تهدم كل النظريات الحربية، وتغير كل المفاهيم العسكرية، لمن تدبرها وفهم عن الله تعالى مراده، النَّصْرُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وحْدَهُ؛ ﴿يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾.[٣]

يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وإن كانوا قِلَّةً، ويعزُّ مَنْ يشاءُ وإن كانوا أَذِلَّةً؛ ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾.[٤]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٢٤– ١٢٦

٢ – سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الْآيَة/ ١٢

٣ – سُورَةُ الرُّومِ: الآية/ ٥

٤ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٢٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنها الرحمة الواسعة، والنعمة السابغة، لمن آمن بالله، وآثر رضاه، واحتمى بحماه، وَأَوَى إِلَى كنفه، ومَنْ أَوَى إِلَى اللهِ آوَاهُ اللهُ؛ أليس قد قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾.[1]

١ - سُورَةُ الحَجِّ: الآية/ ٣٨

احذر أن تتعدي على مقام الربوبية

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾.[1]

تأملْ قولَ اللهِ تعالَى لرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، دعا على أقوام حاربوا دين الله تعالى وأذوا رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأذوا المؤمنين، فعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ فِي صَلاَةِ الفَجْرِ وَرَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكُوعِ قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا، وَلَكَ الحَمْدُ فِي الأَخِيرَةِ»، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ العَنْ فُلاَنًا وَفُلاَنًا»، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾.[2]

فإذا كان الله تعالى قد نهى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن الدعاء على هؤلاء وعن لعنهم وهم مشركون، فكيف بمن يلعن المسلمين، ويحكم على بعضهم بالخلود في النار!

فاحذر يا عبد الله مهما ارتكب الذي أمامك من الآثام، ومهما فعل المنكرات، ومهما عاقر الشهوات، أن تتعدي على مقام الربوبية فتحكم له بالنار، فأنت لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ، فالْأَمْرُ كُلُّهُ للهِ، ولَيْسَ عَلَيْكَ هُدَى أحدٍ، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.[3]

فيا عبد الله ما كلفك الله تعالى أن تنقب على قلوب خلقه، فلا توبق دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ بكلمة ما أمرك الله تعالى بها؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كَانَ رَجُلَانِ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ مُتَوَاخِيَيْنِ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يُذْنِبُ، وَالْآخَرُ مُجْتَهِدٌ فِي الْعِبَادَةِ، فَكَانَ لَا يَزَالُ الْمُجْتَهِدُ يَرَى الْآخَرَ عَلَى الذَّنْبِ فَيَقُولُ: أَقْصِرْ، فَوَجَدَهُ يَوْمًا عَلَى

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٢٨

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، حديث رقم: ٧٣٤٦

٣ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٢٧٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ذَنْبٍ فَقَالَ لَهُ: أَقْصِرْ، فَقَالَ: خَلِّنِي وَرَبِّي أَبُعِثْتَ عَلَيَّ رَقِيبًا؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَكَ، أَوْ لَا يُدْخِلُكَ اللَّهُ الْجَنَّةَ، فَقَبَضَ أَرْوَاحَهُمَا، فَاجْتَمَعَا عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ فَقَالَ لِهَذَا الْمُجْتَهِدِ: أَكُنْتَ بِي عَالِمًا، أَوْ كُنْتَ عَلَى مَا فِي يَدِي قَادِرًا؟ وَقَالَ لِلْمُذْنِبِ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ بِرَحْمَتِي، وَقَالَ لِلْآخَرِ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى النَّارِ». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَوْبَقَتْ دُنْيَاهُ وَآخِرَتَهُ.[1]

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٨٢٩٢، وأبو داود- كِتَاب الْأَدَبِ، بَابٌ فِي النَّهْيِ عَنِ البَغْيِ، حديث رقم: ٤٩٠١، وابن حبان- كِتَابُ الْحَظْرِ وَالْإِبَاحَةِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ الْكَلَامِ وَمَا لَا يُكْرَهُ، حديث رقم: ٥٧١٢، بسند صحيح

أَنَّى له الفلاحُ ولم تعرفْ التَّقْوى إلى قلْبِهِ سبيلًا؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[1]

تأمل قول اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾، بعد النهي عن أكلِ الرِّبَا، لتعلم يقينًا أن آكل الربا لا يفلح في الدنيا والآخر.

وأَنَّى له الفلاحُ ولم تعرفْ التَّقْوى إلى قلْبِهِ سبيلًا؟

ومن أين يأتيه الفلاح وقد حكم الله تعالى عليه بالفقر في الدنيا، والذلِّ في الآخرة؟ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾.[2]

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ تَصِيرُ إِلَى قَلٍّ».[3]

وقد رأينا مَنِ افتقرَ بَعْدَ غنى، وَمَنْ ذَلَّ بَعْدَ عزٍّ، بسببِ الرِّبَا.

وحكم اللَّهُ تَعَالَى عليه بالحربِ يومَ القيامةِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ.....﴾.[4]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٣٠

٢ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٢٧٦

٣ – رواه أحمد– حديث رقم: ٣٧٥٤، والحاكم– كِتَابُ الْبُيُوعِ، حديث رقم: ٢٢٦٢، بسند صحيح

٤ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٢٧٨، ٢٧٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ليس هذا شأنُ أهلِ الإسلامِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.[1]

تأملْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾، بعد الأمر بطاعته تعالى، وطاعةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا تتحقق طاعة الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إلا بامتثالِ أمره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حيًّا، واتباعُ سُنَّتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ وَفَاتِهِ.

وتعجبْ من أولئك الذين يَرُدُّونَ سُنَّتَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويطعنون فيها، ويطعنون في رواتها، ويزعمون كذبًا وزورًا أنه يكفيهم القرآن عن السنة، تعجب من هؤلاء كيف يحققون طاعة الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، التي علق الله تعالى عليه رحمته فقال: ﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾.

بل كيف يتحقق لهم إسلام أصلًا وهم يرون بعثة الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كالعدمِ، ويرون بيانه للقرآن لغوًا، وتفسيره لكلام الله تعالى عبثًا؟

ويتمادى بهم الضلالُ حتى يصلَ الأمر إلى السخرية والاستهزاء منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بأبي هو وأمي، فيضرب بأحاديثه عرض الحائط، ويقول لا يوجد شيء اسمه الطب النبوي، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مات مريضًا، وينكر - ساخرًا ومستهزءًا - مئاتِ الأحاديث التي قالها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الطبِّ، نقول لمثل هذا راجع نفسك فليس هذا شأنُ أهل الإسلام.

ونقول لهذا وأمثاله: متى تتحقق طاعته للرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأنت تنكرُ سنته؟

ومتى تتحقق متابعتك له وأنت تسخرُ وتستهزئ بكلامه؟

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٣٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

استشعر أنك في مضمار سباقٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.[1]

تأملْ قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، واستشعر أنك في مضمار سباقٍ، وضع نصب عينيك الجائزة الكبرى، إنها المغفرةُ، التي هي أُمنِيةُ كل إنسانٍ، والجَنَّةُ مهوى أفئدةِ المؤمنينَ.

وتأمل ما يوحي به ذلك اللفظُ: (سَارِعُوا)، الذي يدلُّ على المفاعلة، ومعناه المبادرة إلى فعل الخيرات، فهناك من يسارعُ إلى اللَّهِ تَعَالَى، ويبادر إلى طاعته فمهما بدت له طاعة طار إليها، ولسان حاله: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾.[2]

وقريب منه قوله تَعَالَى: ﴿سَابِقُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ﴾. [الْحَدِيدِ: ٢٢]، والمسابقة شدة العَدْوِ في السيرِ، فهناك من يسابقك إلى الله، وينافسك في مرضاته، وهذا الذي ينبغي أن تصرف همتك إليه، وأن تحرص كل الحرص عليه.

وقريب من المسارعةِ والمسابقةِ الفرارُ، لكنَّ الفارَّ عنده من الحرص ما ليس عند المتسابقين والمسارعين، وإذا كلَّ المتسابق توقف، وإذا أعي المسارعُ تباطأ، والفارُّ ينسيه الفزعُ تعبَهُ، ويُشغِلُهُ الخوفُ عن الإعياءِ، لذلك ذكر الله تعالى الفرار حين دعا عباده إليه؛ فقال: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾. [الذاريات: ٥١] فأمر بأعظم الأسباب، لتحقيق أعظم مطلوب.

ومن الأمر بالمسارعة والمسابقة الفرار يتبين أن العجلة مذمومة في كل شيء إلا في الخيرات، وفعل الطاعات، والأناة ممدوحة في كل حال إلى فيما يحبه الله، ويقرب العباد إليه.

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٣٣

٢ – سُورَةُ طه: الْآيَة/ ٨٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالذين يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ هم أولى بثناءِ الله تعالى كما قال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾.[1]

فيا عبد الله إذا سارع بعض الناس في الأثم والعدوان فسارع أنت في الخيرات، وإذا سابق بعضهم إلى اللذات، فسابق أنت إلى مغفرة ربك وجنته، وإذا فرَّ بعضهم من الله ففرَّ أنت إليه، فإنه لا يقربك منه إلى الإسراع إليه، ولا ينجيك منه إلا الفرارُ إليه.

١ – سُورَةُ الأنبياء: الْآيَة/ ٩٠

التقوى حياة على منهج الله تعالى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾.[1]

تأمل قول اللَّهِ تَعَالَى عنِ الجنَّةِ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، حتى لا تغرك الأماني، أو يغرك بالله الغرورُ، فتظنَّ أن الجنَّةَ تنال بلا عملٍ، أو أنها رخيصة ينالها البطالون!

الجنة لا يدخلها إلا أهل التقوى؛ ألم تسمع قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا﴾.[2]

وأهل التقوى هم الذين يتنعمون بما في الجنَّةِ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ(٥٤) فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ﴾.[3]

وإياك أن تظن أن التقوى كلمة تقال باللسان، أو أماني يتمناها العباد، إنما التقوى حياة على منهج الله تعالى، يخضع كل شيء فيها لهدي القرآن، وسنة رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَالَ طَلْقُ بْنُ حَبِيبٍ التَّقْوَى: هِيَ الْعَمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ، تَرْجُو ثَوَابَ اللَّهِ، وَتَرْكُ مَعْصِيَةِ اللَّهِ عَلَى نُورٍ مِنَ اللَّهِ، تَخَافُ عِقَابَ اللَّهِ.

فمن كان هذا حاله دخل في وعد الله تعالى، ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾، ونال شرفَ سكناها؛ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ﴾.

ولا يكون العبد كذلك حتى يكون وجلًا من الطاعات كما يخاف غيره من الذنوب والآثام؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [الْمُؤْمِنُونَ:

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٣٣

٢ – سُورَةُ مَرْيَمَ: الْآيَة/ ٦٣

٣ – سُورَةُ الْقَمَرِ: الْآيَة/ ٥٤، ٥٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٦٠]، قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الَّذِينَ يَصُومُونَ وَيُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ، وَهُمْ يَخَافُونَ أَنْ لَا تُقْبَلَ مِنْهُمْ».[١]

قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ (٢٦) فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾.[٢]

فلا تتوهم أُخَيَّ أن التقوى وصف لا ترجمة لها في الواقع، أو قول بلا عمل؛ قِيلَ لِوَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ: أَلَيْسَ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مِفْتَاحُ الجَنَّةِ؟ قَالَ: «بَلَى، وَلَكِنْ لَيْسَ مِفْتَاحٌ إِلَّا لَهُ أَسْنَانٌ، فَإِنْ جِئْتَ بِمِفْتَاحٍ لَهُ أَسْنَانٌ فُتِحَ لَكَ، وَإِلَّا لَمْ يُفْتَحْ لَكَ».[٣]

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢٥٢٦٣، والترمذي– أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ، حديث رقم: ٣١٧٥، وابن ماجه– كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ التَّوَقِّي عَلَى الْعَمَلِ، حديث رقم: ٤١٩٨، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بسند صحيح

٢ – سُورَةُ الطُّورِ: الْآيَة/ ٢٦، ٢٧

٣ – رواه البخاري– كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الجَنَائِزِ، وَمَنْ كَانَ آخِرُ كَلاَمِهِ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ.

غايةُ الإحسانِ، ومنتهى الفضلِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.[1]

تأمل القاسم المشترك الذي يجمع هؤلاء الذين أثنى الله تعالى عليهم، ووصفهم بتلك الصفات التي تبدو لأول وهلة صفات متباعدة، لا رابط بينها!

وصفهم الله تعالى بأنهم يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ، وَوصفهم بالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ، ووصفهم وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ، ثم أخبرَ أنه يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ، وما قال: وَاللَّهُ يُحِبُّ من كان كذلك، أو وَاللَّهُ يُحِبُّ الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ.

وإنما أشار إلى الرابط الذي بين هؤلاء جميعًا وهو الإحسان، نعم إنه الإحسان في أجمل صوره، وأسمى معانيه، فإنَّ الإنفاق فِي السَّرَّاءِ كرمٌ وجودٌ، لكنه فِي الضَّرَّاءِ غايةُ الإحسانِ، ومنتهى الفضلِ، فهو يحتاج إلى من يواسيه، ويفرج كربه، ومع ذلك يواسي غيره، كالذي يضمد جراح مجروح وجرحه ينزف، ويسقي غيره وهو يكاد أن يقتله الظمأ، إنه غاية الإحسان.

والصنف الثاني: ﴿الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ﴾، مَنْ اعتُدِيَ عليه فكظم غيظه ولو شاء لأنفذه وانتصر ممن أساء إليه، ولكنه آثر رضوان الله، وآثر الجنة، على ما به من شدة الغيظ، وحب الانتقام، وشهوة التشفي، فترك نوازع الانتقام، رغبة فيما عند الله، إن الإحسان في أسمى صوره.

والصنف الثالث: ﴿الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ﴾، مَنْ اعتُدِيَ عليه فكظم غيظه، ثم تصدق على المسيء الظلوم بمحو أثر الذنب، وهضم النفس بتجاوزه عن الحق، ولا شك أنها حالة أرفع رتبة من مجرد كظم الغيظ ففي الكلا ترقٍ من الأدني للأعلى، ولا شك أنها الغاية في الإحسان.

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٣٤

www.alukah.net

أرأيت لم قال الله تعالى بعد ذكره لتلك الصفات: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾؟

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ماذا أقول له إذا قمت بين يديه أناجيه؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.[1]

تأمل قول اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ذَكَرُوا اللَّهَ﴾، بعد الإخبار عن مقارفة الذنب، وفعل الفاحشةِ وظلم النفسِ!

إنَّ وَقْعَ ذكرِ الله تعالى على قلب العبد بعد فعلِ المعصية عظيمٌ جدًّا، وأثره في نفسه مهولٌ جدًا، يتمنى العبد حينها، لو مات قبل ذلك وكان نسيًا منسيًا.

ويود من قرارة نفسه لو كان ترابًا تذروه الرياح ولا يقف بين يدي الله تعالى للحساب، حياءً من الله تعالى.

عرض لأحد الصالحين ذنبٌ فبكى وقال: ماذا أقول له إذا قمت بين يديه أناجيه؟

وقال الآخر:

هَبِ الْبَعْثَ لَمْ تَأْتِنَا رُسْلُهُ

***** وَجَاحِمَةَ النَّارِ لَمْ تُضْرَمِ

أَلَيْسَ مِنَ الْوَاجِبِ الْمُسْتَحَقِّ

***** طَاعَة رَبِّ الوَرَى الأَكْرِمِ؟

أَلَيْسَ مِنَ الْوَاجِبِ الْمُسْتَحَقِّ

***** حَيَاءُ العِبَادِ مِنَ الْمُنْعِمِ؟

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٣٥

www.alukah.net

فإذا أذنب العبدُ فلم يجد للذنبِ في نفسه أثرًا، ولم يجد لذكر الله تعالى بعده على قلبه وقعًا، فليبك على نفسه فإن قلبه قد مات أو كاد.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الخوفُ كلُ الخوفِ على من لا تعرفُ التوبةُ إليه سَبيلًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.[1]

تأمل قول اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا﴾، بعد الإخبار عن فعلِ الفاحشةِ والوقوع في الظلم، لتعلم أن الخطر ليس في الوقوع في المحرم إنما الخطر كل الخطر في الإصرار على الذنب، وعدم التوبة منه!

الخطأ طبيعة البشر، والمعاصي واردة من كل بني آدم؛ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ».[2]

ولم يكلفنا الله تعالى بالعصمة، وإنما شرع لنا التوبة؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا لَذَهَبَ اللهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ، فَيَسْتَغْفِرُونَ اللهَ فَيَغْفِرُ لَهُمْ».[3]

وإذا كان العبد توابًا لله تعالى، لا يعرف الإصرارَ على الذنوب والمعاصي، فلا يخشى عليه، إنما الخوف كل الخوف على من لا تعرف التوبة إليه سبيلًا؛ رُوِيَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: لَا صَغِيرَةَ مَعَ الْإِصْرَارِ، وَلَا كَبِيرَةَ مَعَ الِاسْتِغْفَارِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا يَحْكِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: «أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا، فَقَالَ: اللهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، ثُمَّ عَادَ

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٣٥

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٣٠٤٩، والترمذي– أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٤٩٩، بسند حسن

٣ – رواه مسلم– كتاب التَّوْبَةِ، بَابُ سُقُوطِ الذُّنُوبِ بِالِاسْتِغْفَارِ تَوْبَةً، حديث رقم: ٢٧٤٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَأَذْنَبَ فَقَالَ: أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ، وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ، اعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ».[1]

فاحذر أن تصرَّ على معصيةٍ، واحذر أن تسوف التوبةَ، واحذر أن يقنطك الشيطان من رحمة الله!

١ – رواه مسلم– كتاب التَّوْبَةِ، بَابُ قَبُولِ التَّوْبَةِ مِنَ الذُّنُوبِ وَإِنْ تَكَرَّرَتِ الذُّنُوبُ وَالتَّوْبَةُ، حديث رقم: ٢٧٥٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يتوهم أنَّ منازلها تتحقق بالأماني الأحلام

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ مَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾.[1]

تأمل ما أعده الله تعالى للمسارعين إِلَى مَغْفِرَتِهِ، المسابقين إلى مرضاته، المنفقين في سبيله، الْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ، الْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ!

مَغْفِرَةٌ يمحو الله تعالى بها الذنوبَ، ويستر الله تعالى بها العيوب.

وَجَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، يزول عنهم فيها كل كدرٍ، ويذهب عنهم فيها كل بؤس.

والخلودُ في دار النعيم، فلا ينغص عيشهم فراقهم للنعيم، ولا فراق النعيم لهم.

وتأمل قول الله تعالى: ﴿وَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾، بعد أن ذكر صفاتهم وأعمالهم ليبين الله تعالى أن سلعته غالية وأنها لا ينالها البطالون.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ خَافَ أَدْلَجَ، وَمَنْ أَدْلَجَ بَلَغَ الْمَنْزِلَ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الْجَنَّةُ».[2]

وكثير من الناس يتوهم أن الجنة تنال بلا عملٍ، وأنَّ منازلها تتحقق لأهلها بالأماني الأحلام.

ويغفل عن قول الله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[3]

يا سلعةَ الرحمنِ لستِ رخيصةً

***** بل أنتِ غاليةٌ على الكسلانِ

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٣٦

٢ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٤٥٠، بسند صحيح

٣ – سُورَةُ الزُّخْرُفِ: الآية/ ٧٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَلَا فَلْيَعْتَبِرِ الْمُعْتَبِرونَ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾.[1]

تأمل قول الله تَعَالَى: ﴿فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾، لتعلم أن من صفات أولي الألباب الاعتبار بما جرى للسابقين من الأمم الخالية، والأزمان الغابرة، فإذا رأوا منازل السابقين، وتناهى إلى علمهم مصارع الغابرين، فيجب عليهم أن يتساءلوا عن سبب هلاكهم، وعلة دمارهم، وكانوا أشدَّ قوة وأكثر أموالًا وأولادًا، حتى عمروا الأرض دهورًا، ونحتوا من الجبال قصورًا، وبنوا حضاراتٍ عظيمةً، وشيدوا ملكًا عريقًا، ثم مزقهم اللهُ كل ممزقٍ، وفرَّقَ شملهم بعد اجتماعٍ، فصاروا أثرًا بعد عينٍ، وجعلهم أحاديثَ يتسامرُ بها السمَّارُ، ويتناقلها الركبان، ويُتَفَكَّهُ بها في المجالس، ويتناقلها الركبان؛ ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾.[2]

ومهما بحثت في أسباب هلاكهم فلن تجدَ سببًا أظهر من كفرهم بالله تعالى، وتكذيبهم لأنبيائهم عليهم السلام، وظلمهم لمن آمن بالله، ويجمع تلك الأوصاف الثلاثة وصفٌ واحدٌ وهو العتو والطغيان؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُكْرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾.[3]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ﴾.[4]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٣٧

٢ – سورة سَبَأٍ: الآية/ ١٩

٣ – سورة الطلاق: الآية/ ٧، ٨

٤ – سورة الحج: الآية/ ٤٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهنا يقولُ تَعَالَى: ﴿فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾، ألا فليعتبر المعتبرون؛ فإن العاقل من اعتبر بغيره، فإنها سنة من سنن الله تعالى في خلقه؛ ﴿سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.[1]

وسنن الله لا تتبدل ولا تتحول؛ ﴿فَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلا﴾.[2]

١ – سورة الأحزاب: الآية/ ٦٢

٢ – سورة فاطر: الآية/ ٤٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا ينتفع بهدي القرآن إلا أهل الإيمان

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾.[1]

تأمل قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿هَذَا بَيَانٌ لِلنَّاسِ﴾، ثم قوله تعالى: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾؛ لتعلم أن في القرآنِ كشفًا لِلْحَقَائِقِ التي التبس أمرها على الناس حتى افتروقوا بسببها، وتنازعوا من جرائها، فأتي القرآن لبيانها وإيضاح حقيقتها؛ كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.[2]

ولما اختلف أهل الكتاب في الفتيةِ الذين ذهبوا في الدهرِ قَالَ تَعَالَى في شأنهم: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ﴾.[3]

وَلما تماروا في عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عليه السلام قَالَ تَعَالَى ليقطع تنازعهم ويكشف اللبس عنهم: ﴿ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ﴾.[4]

ففي القرآنِ بَيَانٌ لِلنَّاسِ جميعًا، وكشفٌ لِلْحَقَائِقِ كلها، وردٌّ لجميع الأمور إلى نصابها.

ولما كان لا ينتفع بهدي القرآن إلا أهل الإيمان، ولا ينزجر بوعظه إلا أهل التقى؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

فكم من أفاك أثيم يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرًا كأن لم يسمعها!

فخص الله تعالى المتقين بوعظه، وآثر المتقين بهداه، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾.[5]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٣٨

٢ – سُورَةُ النمل: الْآيَة/ ٧٦

٣ – سُورَةُ الْكَهْفِ: الآية/ ١٣

٤ – سُورَةُ مَرْيَمَ: الآية/ ٣٤

٥ – سُورَةُ يُونُسَ: الْآيَة/ ٥٧

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾.[1]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ﴾.[2]

١ – سُورَةُ الإِسرَاءِ: الْآيَة/ ٩

٢ – سُورَةُ فُصِّلَتْ: الْآيَة/ ٤٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

علاج رباني للقيام من الكبوات، وتجاوز الأزمات

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.[1]

تأملْ قولَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا﴾، لتعلم أن من أعظم أسباب الفشل الوهن وهو الضعفُ، ضعفُ الْإِرَادَةِ، وَضعفُ الْعَزِيمَةِ، وهو شعور قلما يتملك إنسانًا فينجح في حياته.

فهذا الذي يعتذر دائمًا بأنه لا يستطيع، كلما دعي إلى مكرمةٍ، أو لاحت له يقول لا أستطيع، أنا أعرف قدراتي، مثل هذا لا يحرِزُ نجاحًا، ولا يحقق هدفًا.

ومن أعظم أسباب الفشل كذلك الحزن، وهو شِدَّةُ الْأَسَفِ على فواتِ محبوبٍ، حتى يصل إلى حَدِّ الْكَآبَةِ، فيمنعه الحزن على ما فاته عن النظر فيما يستقبله، ويتولد من حزنه على ما فاته وعجز عن تداركه، فضلا عن تجاوزه.

وتأملْ كيف جمعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في دعائه بين الاستعاذة من الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ».[2]

ولما كان الوهن والعجز ليس من شأن أهل الإيمان بين الله تعالى الواجب على المؤمنين، فقال: ﴿وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾، فإن الإيمان يرفع صاحبه عن سفاسف الدنيا، ويرفع همته حتى تسامق السحاب، وتسامي الجوزاء.

وكل مصيبة إذا سلم للمؤمن إيمانه مقدورة، وكل بلاء إذا كان في غير الدين هين.

إنه علاج رباني للقيام من الكبوات، وتجاوز الأزمات، والمضي قدمًا لتحقيق الغايات.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٣٩

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الدَّعَوَاتِ، بَابُ التَّعَوُّذِ مِنْ غَلَبَةِ الرِّجَالِ، حديث رقم: ٦٣٦٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومَنْ مِنَ النَّاسِ لا يكبو، ولكلِ جوادٍ كبوة، ومَنْ مِنَ النَّاسِ لا يتعثرُ والعثارُ شأن البشرِ!

والعبرة في السباق بمن يسرع القيام إذا كبا، ولا يحيد عن غايته إذا مضى.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدُّنْيَا دُوَلٌ لَا يَدُومُ عِزُّهَا ولَا ذُلُّهَا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.[1]

تأمل قولَ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾، فالدُّنْيَا دُوَلٌ بَيْنَ النَّاسِ لَا يَدُومُ غِنَاهَا ولَا فقْرُهَا، ولَا يَدُومُ سُرُورُها وَلَا غَمُّها، ولَا يَدُومُ عِزُّهَا ولَا ذُلُّها.

هِيَ الأُمُورُ كَما شاهَدتُها دُوَلٌ

***** مَن سَرّهُ زَمَنٌ ساءَتهُ أَزمانُ

وَهَذِهِ الدارُ لا تُبقي عَلى أَحَدٍ

***** وَلا يَدُومُ عَلى حالٍ لَها شانُ

وتأمل العلةَ مِنْ تلك الْمُدَاوَلَةِ: ﴿وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، فقد تكون أَوْقَاتُ الْغَلَبَةِ وَالظَّفَرِ للكفارِ أعداءِ اللهِ، ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾ [الْمَائِدَةِ:٥٢]، لتقديم فروض الطاعة والولاء لهم، طلبًا لمرضاتهم، ولولا تلك السُنَّة فِي الْمُدَاوَلَةِ ما تبين لنا صادق الإيمان ممن يدعيه!

ثم تأمل ذلك التذييل العجيب للآية: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، فإن النفوس جبلت على البغي والعدوان عند العلو والظهور، وعلى الاستكانة الخمول عند الاستضعاف والأفول.

فمن كان حال الغلبة وعلو الرتبة ويسار الحال، مقسطًا لا يسعى لبغي ولا لفساد فذلك لإيمانه واستقامته، وصلاحه، ونقاء سريرته.

والظُّلمُ من شِيَم النُّفوسِ فَإِن تَجِدْ

***** ذَا عِفَّةٍ فلعِلَّة لَا يَظْلِم

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٤٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن كان إذا تمكن سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل، فذلك لسوء سريرته، وفساد طويته، وحبه للبغي والعدوان، ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الموتُ في سبيلِ اللهِ أعظمُ كرامةٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.[1]

تأمل ذلك الثناء العظيم من الله تعالى على من مات في سبيله بقوله: ﴿وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ﴾، بعد قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾، والمعنى: ويصطفي منكم شهداء، ولا شك أن الموتَ في سبيل اللهِ أعظمُ كرامةٍ، ولم لا؟

ومَنْ هذا حاله، فقد اصطفاه الله تعالى.

وتعجب كيف يفرح أعداء الإسلام بموت أهل الإيمان ويظهرون الشماتة بهم، ولا يعلم أولئك أن أعظمَ أمنية لأهل الإيمان أن يموت الواحد منهم يوم يموت شهيدًا محتسبًا، مقبلًا غير مدبرٍ ثابتًا على مبادئه، راسخًا في معتقده رسوخ الجبال الرواسي.

وهذا سَيْفُ اللَّهِ الْمَسْلُولُ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يقولُ وَهُوَ فِي سِيَاقِ الْمَوْتِ: (لَقَدْ شَهِدْتُ كَذَا وَكَذَا مَوْقِفًا وَمَا مِنْ عُضْوٍ مِنْ أَعْضَائِي إِلَّا وَفِيهِ رَمْيَةٌ أَوْ طَعْنَةٌ أَوْ ضَرْبَةٌ وَهَا أَنَا ذَا أَمُوتُ عَلَى فِرَاشِي كَمَا يَمُوتُ الْعِيرُ!! فَلَا نَامَتْ أَعْيُنُ الْجُبَنَاءِ).

ومن عجيبِ شأنِ هؤلاء الذين يفرحون بموت أهل الدين، ويشمتون بموت المؤمنين علمهم أنهم لن يخلدوا، وأن الموتَ أجلٌ مكتوبٌ، ومصيرٌ محتومٌ، لا فرار منه، ولا محيد عنه؛ ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾.[2]

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٤٠

٢ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٧٨

فيقال لهؤلاء: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[1]

فليست العبرة بمن مات ومن بقي، إنما العبرة بمن مات ثابتًا على مبادئه، مقبلًا على طاعة مولاه، رافعًا لراية دينه.

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يا ويح الظالمين! ماذا ينتظرهم!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.[1]

تأمل قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾، وإذا كان الله تعالى لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ فإنه سيبغضهم لا محالة، ومن أبغضه الله تعالى، لا يرجو فلاحًا، ولا يدرك نجاحًا، وهي أمورٌ متلازمة؛ لأنه حكم اللَّهِ تَعَالَى؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.[2]

كما أن مَنْ أحبه الله تعالى يوفقه لكل خيرٍ، ويحالفه التوفيق، والفلاح في كل حركة وسكنة؛ كما قال الله تعالى في الحديث القدسي: "وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ".[3]

وإذا كان الله تعالى لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ؛ فإنه سيلقى البغضاء في قلوب العباد عليهم؛ حتى يبغضهم القاصي والداني، ومن يعرفهم ومن لا يعرفهم، كما أن من أحبه الله تعالى ألقى محبته في قلوب العباد، من يعرفه ومن لا يعرفه، وهي سنة من سنن الله تعالى في خلقه لا تتخلف؛ ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.[4]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٤٠

٢ – سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَة/ ٢١

٣ – رواه البخاري– كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ التَّوَاضُعِ، حديث رقم: ٦٥٠٢

٤ – سورة الأحزاب: الآية/ ٦٢

فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ".[1]

فيا ويح الظالمين! ماذا ينتظرهم!

١ – رواه البخاري– كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ المِقَةِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، حديث رقم: ٦٠٤٠، ومسلم– كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ إِذَا أَحَبَّ اللهُ عَبْدًا حَبَّبَهُ لِعِبَادِهِ، حديث رقم: ٢٦٣٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

في ظاهرِهِ شرٌّ مستطيرٌ وفي باطنه خيرٌ عظيمٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾.[1]

تأمل العلة التي من أجلها يبتلي الله تعالى عباده المؤمنين، حتى يديل أعداءهم عليهم، ويمكنهم من رقابهم، وهو ابتلاء عظيم جدًا!

والعلة أن الله تعالى يريدُ أن يخلِّصَ المؤمنين ممن تشبَّه بهم في الظاهرِ، وهو ليس منهم في حقيقة الأمر، ولا يتميزُ الفريقان إلا بغربلةٍ وتمحيصٍ يكشف الله حال الفريقين، ويخلص المؤمنين من الأدعياء، والصادقين من الكاذبين.

ولا يتحقق هذا التمحيص إلا بابتلاء عظيمٍ، وزلزلة شديدةٍ، لا يثبت معها إلا من رسخ الإيمان في قلبه رسوخ الجبال الرواسي، كما لا يخلص الذهب مما علق به من الشوائب إلا بالنار؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾.[2]

والأمرُ وإن كان في ظاهرِهِ شرٌّ مستطيرٌ، إلا أنه في باطنه خيرٌ عظيمٌ؛ فإن الله تعالى لا يفصلُ بين الفريقين إلا حالَ المفارقةِ والتميزِ؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.[3]

فإذا هُذِّبَ المؤمنون ونقوا وتخلصوا من الأدعياء الدخلاء، واستقامت أمورهم أتى نصر الله تعالى، ونزل بأعدائهم بأسه الذي لا يردُّ؛ ﴿وَلا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾.[4]

ويتحقق حينها قوله تعالى: ﴿وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾؛ لأنها سنة الله في خلقه، ووعده الذي لا يتخلف.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٤١

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٧٩

٣ - سُورَةُ الْفَتْحِ: الْآيَة/ ٢٥

٤ - سُورَةُ يُوسُفَ: الْآيَة/ ١١٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

واهم من يظن أن الجهاد من نوافل الطاعات

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ﴾.[1]

تأمل كيف علق الله تعالى دخولَ الْجَنَّةِ على الجهادِ في سبيلِهِ، فعَنْ بَشِيرِ ابْنِ الْخَصَاصِيَةِ السَّدُوسِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأُبَايِعَهُ، قَالَ: فَاشْتَرَطَ عَلَيَّ شَهَادَةَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنْ أُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَأَنْ أُؤَدِّيَ الزَّكَاةَ، وَأَنْ أَحُجَّ حَجَّةَ الْإِسْلَامِ، وَأَنْ أَصُومَ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَأَنْ أُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ. فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمَّا اثْنَتَانِ، فَوَاللَّهِ مَا أُطِيقُهُمَا: الْجِهَادُ وَالصَّدَقَةُ، فَإِنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّهُ مَنْ وَلَّى الدُّبُرَ، فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ، فَأَخَافُ إِنْ حَضَرْتُ تِلْكَ جَشِعَتْ نَفْسِي، وَكَرِهَتِ الْمَوْتَ، وَالصَّدَقَةُ فَوَاللَّهِ مَا لِي إِلَّا غُنَيْمَةٌ وَعَشْرُ ذَوْدٍ، هُنَّ رَسَلُ أَهْلِي وَحَمُولَتُهُمْ. قَالَ: فَقَبَضَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ، ثُمَّ حَرَّكَ يَدَهُ، ثُمَّ قَالَ: «فَلَا جِهَادَ وَلَا صَدَقَةَ، فَبِمَ تَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِذًا؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أُبَايِعُكَ. قَالَ: فَبَايَعْتُهُ عَلَيْهِنَّ كُلِّهِنَّ.[2]

واهم من يظن أن الجهاد من نوافل الطاعات، وأشد منه وهمًا من يظن الجهاد لا يشرع إلا في حالة الدفاع عن النفس، وأقبح منهما حالًا من يظن أنَّ الجهادَ لا قيمة له.

أما مَنْ يزعمُ أن الجهادَ نوعٌ من الإرهابِ، وأنه من أسبابِ البلاءِ على هذه الأمةِ، فليس من المسلمين وإن صلى وصام وزعم أنه مسلم.

وكيف يلتفت لقوله واللَّهُ تَعَالَى يقول: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾؟[3]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٤٢

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢١٩٥٢، والحاكم– كِتَابُ الْجِهَادِ، حديث رقم: ٢٤٢١، والطبراني في الأوسط– حديث رقم: ١١٢٦، بسند رجاله ثقات

٣ – سُورَةُ الْحَجِّ: الآية/ ٧٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وضح الطريق واستبانت معالمه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ.....﴾.[1]

تأمل قولَ اللَّهِ تَعَالَى لأصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، فالدين دين الله، والعبادة له دون سواه، حتى لا يتوهم أحد أن جذوة الدعوة ستخبو في القلوب بموت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأن الإسلام سيضمحل بعده حتى يزول.

وقد أدرك الصحابة رضي الله عنهم ذلك تمام الإدراك حين عصفت الفتن بهذه الأمة؛ ففي غزوةِ أُحدٍ سرت إشاعةٌ بين المسلمين أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُتِلَ؛ فمرَّ أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، علَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، وَطَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي رِجَالٍ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، وَقَدْ أَلْقَوْا بِأَيْدِيهِمْ، فَقَالَ: مَا يُجْلِسُكُمْ؟ قَالُوا: قُتِلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: فَمَاذَا تَصْنَعُونَ بِالْحَيَاةِ بَعْدَهُ؟ قُومُوا فَمُوتُوا عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ اسْتَقْبَلَ الْقَوْمَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ.

فلملم المسلمون شعثهم، وتداركوا أمرهم، والتأم شملهم.

ولما ماتَ رسول اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نزل بالمسلمين ما لو نزل بالجبال الرواسي لهاضها، حتى صَارَ الْمُسْلِمُونَ كَالْغَنَمِ الْمَطِيرَةُ فِي اللّيْلَةِ الشّاتِيَةِ لِفَقْدِ نَبِيّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى ذكرهم الصّدّيقُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بمهمتهم التي ابتعثهم الله من أجلها بقوله: أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّدًا فَإِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ حَيٌّ لَا يَمُوتُ. قَالَ: ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ، وَمن يَنْقَلِبْ عَلى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً، وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٤٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فما إن سمعوها حتى انقشعت سحابة اليأس من القلوب، وأشرقت شمس العزم في النفوس، ومضوا يحملون مشاعل النور، ليكملوا طريق البشير ففتحوا الدنيا شرقا وغربًا، وتهاوت الممالك تحت سنابك خيلهم، وانحسر الضلال واضمحل الباطل، ودالت دولته، وانكسرت شوكته.

فما أحوجنا اليوم لمثل أَنَسِ بْنِ النَّضْرِ وأَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ليذكرانا أن نعمل لدين الله تعالى، وأن نموت على ما مات عليه أسلافنا، وأن ننفض غبار الكسل عن كواهلنا، وألا نتواني في نصرة دين الله تعالى رجاء أن يبعث فينا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو يرجع إلينا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليحكمنا، أو يقود جموعنا سيف الله المسلول رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فقد وضح الطريق واستبانت معالمه، فامض لنصرة دين الله تعالى ولا يضرك قلة السالكين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عجيب شأن هذا الْمُعْرِضِ عن الله تعالى!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾، وهو يصور تلك الصورة البشعة الشنيعة لمن ارتد عن الإسلام.

لما خالف المرتدُ نوازعَ الفطرة التي تدعوه لتوحيد ربه تعالى، وعبادته دون سواه فانتكست فطرته حين رضي الكفر دينا، والضلال معتقدًا، كان حاله كحال هذا المنهزم الذي يرجع القهقرى، وهي صورة تناسب قبحها وشناعتها انتكاس الفطرة السليمة وارتكاسها.

ثم تأمل قول الله تعالى بعدها: ﴿فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا﴾، لتعلم فساد عقل هذا المرتد، وسوء تدبيره، حين يظن أن الإسلام سيضعف بردته، وأن الدين سيضمحل بكفره، وأن الله تعالى سيتضرر بإعراضه!

أن الكون كله علويه وسفليه يعبد الله تعالى ويسبحه، ويسجد له ويطيعه؛ كَمَا قَالَ تعالى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.[2]

وكَمَا قَالَ تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ. يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾.[3]

عجيب شأن هذا الْمُعْرِضِ عن الله تعالى، المرتدِ عن دينه!

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٤٤

٢ – سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الْآيَة/ ٤٤

٣ – سُورَةُ النَّحْلِ: الْآيَة/ ٤٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أتراه لا يرى أولئك المقبلين على ربهم، السائرين قدما في سبيل مرضاته؟

بلى يرى ولكن ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الأبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾.[1]

١ – سُورَةُ الْحَجِّ: الْآيَة/ ٤٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا.....﴾.[1]

تأملْ قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾، وانظر إلى حال كثير من الناس، كيف يفعل القبائح، ويرتكب المآثم، ويرضي بعض العباد بسخط رب العبادِ، خوفًا من قطع الرزق أو القتل!

نعم لا يجوز للمسلم أن يعرض نفسه للتلف، ولا يسعى بقدمه إلى حتفه، ولكن شتان بين من يثبت على طاعة مولاه، حتى يجري عليه قدر الله، وبين من يعصي ربه فرارًا من قدره.

وآجال العباد مصائر محتومةٌ، وأقدارٌ مقدرةٌ، فلا مقدم لما أخره الله ولا مؤخر لما قدمه.

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾.[2]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا﴾.[3]

فعش عزيزًا لا تخش في الله لائمةً، ولا ترض بالذُّلِ ما حييتَ سبيلًا

وأرزاق العباد مكفولة؛ فلاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَى اللَّهُ تَعَالَى، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ النَّارِ إِلَّا قَدْ أَمَرْتُكُمْ بِهِ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ يُقَرِّبُكُمْ مِنَ النَّارِ، وَيُبَاعِدُكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا قَدْ نَهَيْتُكُمْ عَنْهُ، وَأَنَّ الرُّوحَ الْأَمِينَ نَفَثَ فِي رُوعِي أَنَّهُ لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا،

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٤٥

٢ – سُورَةُ الأعراف: الآية/ ٣٤

٣ – سُورَةُ فَاطِرٍ: الآية/ ٤٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فَاتَّقُوا اللهَ وَأَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمُ اسْتِبْطَاءُ الرِّزْقِ أَنْ تَطْلُبُوهُ بِمَعَاصِي اللهِ، فَإِنَّهُ لَا يُدْرَكُ مَا عِنْدَ اللهِ إِلَّا بِطَاعَتِهِ".[1]

وَقَالَ الْمُتَنَبِّي:

وَإِذَا لَمْ يَكُنْ مِنَ المَوْتِ بُدٌّ

***** فَمِنَ العَجْزِ أنْ تَمُوتَ جَبَانَا

١ – رواه البيهقي في شعب الإيمان– الزهد وقصر الأمل، حديث رقم: ٩٨٩١، والبغوي في شرح السنة– حديث رقم: ٤١١١، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شتان بين الفريقين

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾.[1]

تأملْ قولَ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا﴾، لتعلم مدى غبن مَنْ كَانَ يُرِيدُ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا، ولا يُرِيدُ ثَوَابَ الْآخِرَةِ، ولا يسعي لمرضاة الله!

ولتعلم عِظَمَ أَجرِ مَنْ كَانَ يُرِيدُ بِعَمَلِهِ الْآخِرَةَ، ويسعى لمرضاة الله تعالى!

فمَنْ قَصَدَ بِعَمَلِهِ الْآخِرَةَ أَعْطَاهُ اللَّهُ ثَوَابَ الْآخِرَةِ، مَعَ مَا قَسَمَهُ اللهُ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا، ومَنْ قَصَدَ بِعَمَلِهِ الدُّنْيَا أَعْطَاهُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا، وليس لَهُ فِي الآخِرَةِ حظٌّ ولا نَصِيبٌ، وليس الأمر قاصرًا على الحرمان من الجنة فقط – على عظم الخطْبِ، وسوء الحالِ، وفداحة الغبن – بل حكم الله تعالى لمن هذا حاله بالنارِ في آيات ثلاث لا رابع لها، إيدانًا بهلاكه، وقبح منقلبه، وسوء مصيره، وهي آيات تقشعر من هولها الأبدان، وتشيب لها نواصي الولدان، لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾.[2]

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[3]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾.[4]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٤٥

٢ – سُورَةُ ق: الْآيَة/ ٣٧

٣ – سُورَةُ هُودٍ: الْآيَة/ ١٥، ١٦

٤ – سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الْآيَة/ ١٨، ١٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ﴾.[1]

فشتان بين الفريقين، فذا مقرب وذا طريد! ويا للبون الشاسع بين الطائفتين، ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾.[2]

١ – سُورَةُ الشُّورَى: الْآيَة/ ٢٠

٢ – سُورَةُ الشُّورَى: الْآيَة/ ٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كيف لا نبذل أرواحنا لإعلاءِ دينِ اللَّهِ تَعَالَى؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.[1]

تأملْ قولَ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ....﴾، يصابُ الأنبياءُ عليهم السلام، وهم أكرم الخلق على الله تعالى، في سبيل نصرة دين الله تعالى، ويصل بهم البلاءُ إلى حد القتل؛ ويُقتَلُ أصحابُهم بين أيديهم؛ ولا يعتريهم وهنٌ ولا يصيبهم ضَعفٌ؛ في سبيل رفعة الدين، وإعلاء كلمة الله.

وفي ذلك الابتلاء العظيم بيان شرف الدين وعلو منزلته، ففي سبيله تراق الدماء، ومن أجله تبذل الأرواح، وبالجهاد في سبيل الله تُنَالُ الدرجاتُ، وتُغفَرُ الخطيئاتُ، ويُدرَكُ النعيمُ المقيمُ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.[2]

فكيف لا يبيعون أَنْفُسَهُمْ لله تعالى وهي أعظمُ صفقةٍ، وأربحُ بيعٍ؟

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ، وَأَقَامَ الصَّلاَةَ، وَصَامَ رَمَضَانَ كَانَ حَقًّا عَلَى اللَّهِ أَنْ يُدْخِلَهُ الجَنَّةَ، جَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ جَلَسَ فِي أَرْضِهِ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَفَلاَ نُبَشِّرُ النَّاسَ؟ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ مِائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، مَا بَيْنَ الدَّرَجَتَيْنِ كَمَا بَيْنَ السَّمَاءِ

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٤٦

٢ - سُورَةُ التَّوْبَةِ: الْآيَة/ ١١١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وَالأَرْضِ، فَإِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ، فَاسْأَلُوهُ الفِرْدَوْسَ، فَإِنَّهُ أَوْسَطُ الجَنَّةِ وَأَعْلَى الجَنَّةِ – أُرَاهُ – فَوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمَنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهَارُ الجَنَّةِ».[1]

مِائَةُ دَرَجَةٍ أَعَدَّهَا اللَّهُ لِلْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِهِ، فكيف لا يبذلون أرواحهم لإعلاء دينه؟

١ – رواه البخاري– كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ دَرَجَاتِ المجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يُقَالُ: هَذِهِ سَبِيلِي وَهَذَا سَبِيلِي، حديث رقم: ٢٧٩٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أعلى أنواع الصبر، وأصدق الناس حالًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾.[1]

تأمل قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾، وبمَ وصلوا إلى هذه المرتبة الشريفة، وكيف نالوا تلك الدرجة العالية الرفيعة!

الصبر هو حبس النفس على المكاره، وتتفاوت هذه المكاره بتفاوت الأعمال، فتارة يكون الصبر على ألم الجراح والقتل في سبيل الله تعالى، كما في هذه الآية، وهو أعلى أنواع الصبر، وصاحبه أصدق الناس حالًا؛ لذلك لما سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا بَالُ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ إِلَّا الشَّهِيدَ؟ قَالَ: «كَفَى بِبَارِقَةِ السُّيُوفِ عَلَى رَأْسِهِ فِتْنَةً».[2]

وتارةً يكون الصبرُ على الجوع والظمأ والشهوة بالصيام، وتارةً يكون الصبرُ على ذكر الله تعالى وتلاوة كلامه، ووتارةً يكون الصبرُ بترك النوم على الفراش الوثير، والقيام بين يدي الله تعالى في الليلة الباردة.

وتارةً يكون الصبرُ عن فعل المحرمات، ومعاقرة الشهوات، والقاسم المشترك بين أنواع الصبرِ، إيثارُ محاب الله تعالى على محاب النفس، وتقديم رضى الله تعالى على لذاتها وشهواتها.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٤٦

٢ - رواه النسائي- كِتَابُ الْجَنَائِزِ، الشَّهِيدُ، حديث رقم: ٢٠٥٣، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فلما قدم العبد ما يحبه ربه ويرضاه، على ما تحبه نفسه وتهواه، أحبه الله تعالى، والجزاء من جنس العمل، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ».[1]

١ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى البَلَاءِ، حديث رقم: ٢٣٩٦، وابن ماجه– كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، حديث رقم: ٤٠٣١، بسند حسن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تأمل شدة تعلقهم بربهم، وثقتهم في موعوده تعالى

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.[1]

تأمل قول اللَّهِ تَعَالَى وهو يصف حالَ المؤمنين الذين قَاتَلُوا مَعَ نَبِيّهم حتى أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا أصابهم، فسُفكت دماؤهم حتى أثخنتهم الجراح، وقُتِلَ إخوانهم في سبيل الله تعالى، فعادوا باللوم على أنفسهم، وعلموا أنهم لا يصيبهم بلاء إلا بذنب، ولا يرفع إلا بتوبة؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾.[2]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنْ نَفْسِكَ﴾.[3]

فسألوا الله تعالى أن يغفر لهم ذنوبهم، وأن يكفر عنهم سيئاتهم، وأن يتجاوز عنهم، قبل أن يسألوا الله تعالى النصر والتمكين؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

فتأمل حالَ أولئك بذلوا أرواحهم لنصرة دين الله تعالى، كيف لم يزكوا أنفسهم، ولم يتسخطوا على القدر حين أصابهم القتل وأثخنتهم الجراح!

وتأمل شدة تعلقهم بربهم، وثقتهم في موعوده تعالى، بأن ينصر الصالحين من عباده، ولا يضيع أجر من أحسن عملًا!

وانظر إلى حال كثير من الناس، الذين يتسخطوا على قدر الله تعالى إذا أصيب أحدهم أدنى مصيبة، أو ألمت به أي ملمة، ويغفل عن كل تقصير بدر منه، وينسى كل إساءة وقع فيها، مع حسن ظنه بنفسه، بل وتزكيته لها.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٤٧

٢ - سُورَةُ الشُّورَى: الآية/ ٣٠

٣ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٧٩

آداب الدعاء التي تتحقق معها الإجابة، وتُستنزل بها الرحمات

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.[1]

تأمل ما كان عليه القوم من الأدب العظيم في دعائهم ربهم تبارك وتعالى!

فاستفتحوا دعاءهم بقولهم: (رَبَّنَا) وهو يتضمن الإقرار بتوحيد اللَّهِ تَعَالَى، ويتضمن الإقرار بنعم الله تعالى التي لا يحصيها العدُّ، ولا يأتي عليها الحصر، فإن الربَّ هو الذي يتعهد بالرعاية، ويربي عباده بالنعم.

ثم ثنوا بقولهم: ﴿اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾، وفيه إقرار بالذنوب، وهو إقرار يتضمن التوبة.

ثم بالغوا في الاعتذار فقالوا: ﴿وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾، وهو مجاوزة حدِّ الاعتدال في كل شيء.

ثم تبرؤا من حولهم وقوتهم، فقالوا: ﴿وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا﴾، فالثبات من الله، والخزي والخذلان في البعد عن الله تعالى.

ثم سألوا مرادهم، وطلبوا مبتغاهم، وهو النصر على أعدائهم، فقالوا: ﴿وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾، وذكروا صفة أعدائهم (الْكَافِرِينَ) ليكون أنجح لطِلْبَتهم.

فإذا تأملت دعاءهم، ونظرت في قولِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ». [رواه البخاري]، وجدت تطابقًا عجيبًا بين الدعاءين.

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٤٧

www.alukah.net

حيث يبدأ بتوحيد الله تعالى والإقرار بربوبيته، والإقرار بنعمه الجليلة، وآلائه الجسيمة، الإقرار بالذنوب، وطلب الصفح والمغفرة، وهي آداب الدعاء التي تتحقق معها الإجابة، وتُستنزل بها الرحمات.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بلغوا الغايةَ في الإحسانِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾.[1]

تأمل قول اللَّهِ تَعَالَى عن أهلِ الإيمانِ: ﴿فَآتَاهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾، لتعلم أن من كانت همته الآخرة أتته الدنيا وهي راغمة؛ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ».[2]

ثم تأمل كيف أخبر الله تعالى عن ثَوَابِ المؤمنين الدُّنْيَوي، وهو يشمل كل نفع لهم في الدنيا، ومنه النصر والتمكين والغنيمة، فما ذكر ثَوَابَ الآخِرَةِ وصفه بالحُسْنِ، فقال: ﴿وَحُسْنَ ثَوَابِ الآخِرَةِ﴾؛ لأنه خيرٌ وأبقى!

ثم تأمل تلك الجائزة الكبرى، التي هي أعظم من الجنةِ، وهي إخباره تعالى بمحبته لهم!

ثم تأمل ثناء الله تعالى لهم وشهادته بأنهم مُحْسِنُونَ بقوله: ﴿وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾؛ لأنهم بلغوا الغاية في الإحسان.

فقد أحسنوا العبودية لله تعالى، حين آمنوا به سبحانه وتعالى، وأحسنوا حين آزروا نبيهم عليه بجهادهم معه في سبيل الله تعالى، وأحسنوا حين بذلوا مهجهم لنصرة دين الله تعالى، وأحسنوا الأدب حين دعوا ربهم تبارك وتعالى.

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٤٨

٢ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٤٦٥، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عندها فقط نسعد في الدنيا ونفوز في الآخرة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾.[1]

تأمل ذلك الخبر الذي لا أوثق منه؛ لأنه من الله تعالى؛ ومن أصدق من الله قيلًا؟ ومن أصدق من الله حديثًا؟

﴿إِنْ تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾، مقدمةٌ ونتيجةٌ حتميةٌ لا تتخلف، طاعة المؤمنين للكفارِ عاقبتها الخسران المبين.

والطاعة هنا مطلقة لا قيد لها، فليس المرادُ بها الطاعة في الدين فقط، ولا في السياسة فقط، ولا في الاقتصاد فقط، بل أي طاعة فمآلها إلى الخسران، ومصيرها إلى البوار.

وقد دلت نصوص الشرع على الخسران الأخروي لمن أطاع الكفار؛ كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا﴾.[2]

كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلا. يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلانًا خَلِيلا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلإِنْسَانِ خَذُولا﴾.[3]

ودلت الشواهد على الخسران الدنيوي؛ فما تخلف المسلمون عن ركب الحضارة، وأصبحوا في ذيل الأمم إلا حين أسلموا قيادهم لأعدائهم، وخضعوا لهم غاية الخضوع، وأطلعوهم على بواطن أمورهم، وكشفوا لهم أسرارهم، وغفلوا عن تحذير الله تعالى لهم، وتناسوا نهيه عن موالاتهم؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالا

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٤٩

٢ - سُورَةُ الْأَحْزَابِ: الْآيَة/ ٦٧

٣ - سُورَةُ الفرقان: الْآيَة/ ٢٧- ٢٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.[1]

حتى بات واضحًا غاية الوضوح منع المسلمين من امتلاك أسباب القوة، والتقدم؛ لأننا ببساطة لا نملك قرارتنا، حتى في أشد الأمور حساسيةً، وأكثرها خصوصية.

ولا رجاء لنا في النهوض من كبوتنا، إلا بالخروج من فلك التبعية لغيرنا، ولا أمل لنا في الخروج من تلك التبيعة إلا بامتثال أمر ربنا، وعندها فقط نسعد في الدنيا ونفوز في الآخرة.

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١١٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذه مظاهر ولايته، وتلك آثار رحمته، وهذا بعض خلقه!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾.[1]

لما أخبر الله تعالى المؤمنين أن طاعتهم للكفار هي عين الخسران، وهو خبر يتضمن النهي عن طاعتهم، والتي هي أعظم مظهر من مظاهر الموالاة، فكان تقدير الكلام: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تتولوا الَّذِينَ كَفَرُوا، فإنهم أحقر وأذل من أن يجلبوا لكم نفعًا، أو يدفعوا عنكم ضرًّا.

ولما تقرر ذلك في نفوسهم قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ﴾، فهو الخالق الذي تولاكم في ظهور الأباء، وأرحام الأمهات فشق لكم السمع والأبصار، وصوركم فأحسن صوركم، ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾.[2]

وهو الذي تولى رزقكم، فأطعمكم من جوع، وأغناكم من فضله؛ ﴿وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾. [الْأَنْفَالِ: ٢٦]، ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلا يُطْعَمُ﴾.[3]

وَهُوَ الْمُنْعِمُ المتفضلُ بكل خيرٍ؛ ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾.[4]

وهو الذي علمكم من الجهالة وبصركم من العمى؛ ﴿وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.[5]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥٠

٢ – سُورَةُ التَّغَابُنِ: الْآيَة/ ٣

٣ – سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَة/ ١٤

٤ – سُورَةُ النَّحْلِ: الآية/ ٥٣

٥ – سُورَةُ النَّحْلِ: الْآيَة/ ٧٨

﴿وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾. يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ، ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾.[1]

هذه مظاهر ولايته، وتلك آثار رحمته، وهذا بعض خلقه! ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾.[2]

﴿فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمُ الْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلا الضَّلالُ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾.[3]

فاتقوا الله، و﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ﴾.[4]

---

١ – سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ: الآية/ ٨٨

٢ – سُورَةُ لقمان: الآية/ ١١

٣ – سُورَةُ يُونُسَ: الآية/ ٣٢

٤ – سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

من جند الله تعالى ما لا يعلمه سواه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ﴾.[1]

مخطئٌ مَنْ يظن أن أسبابَ النصرِ قاصرةٌ على العَدَدِ والعُدَدِ.

نعم هي من أسباب النصر، وقد أمرنا بتحصيلها وإعدادها؛ كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾.[2]

لكنها ليست كلَ الأسباب، فمن أسباب النصرِ صدقُ التوكلِ على الله تعالى؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾.[3]

ومنها نُصرةُ دينِ اللهِ تعالى؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾.[4]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾.[5]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾.[6]

وإذا رأيت هزيمة للمسلمين في موطنٍ، أو تأخرًا للنصر في معركةٍ فاعلم أنَّ ذلك لخللٍ في تحقيق شيء من تلك أسبابِ، فإمَّا أن تكون الهزيمةُ لضعف اليقين، والركون للأسباب المادية، وإمَّا أن تكون لسوءِ القصدِ والانحراف عن الهدفِ وهو نصرة دين الله تعالى، وإما للجرأة على مخالفة أمرِ الله تعالى، وأمرِ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقد يتخلف النصر بمخالفة أمرٍ واحدٍ كما حدث يوم أحدٍ.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥١

٢ - سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٦٠

٣ - سُورَةُ الطَّلَاقِ: الآية/ ٣

٤ - سُورَةُ الْحَجِّ: الآية/ ٤٠

٥ - سُورَةُ مُحَمَّدٍ: الآية/ ٧

٦ - سُورَةُ الصَّافَّاتِ: الآية/ ١٧٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن ذلك الذنوب والمعاصي؛ وقد كان صلاح الدين الأيوبي عليه رحمة الله يمر على الجند ليلًا فإذا رآهم يصلون قال: من هنا يأتي النصر، وإذا رآهم غافلين يلعبون قال: من هنا تأتي الهزيمة.

فإذا تحققت أسباب النصر قاتل مع المسلمين من جند الله تعالى ما لا يعلمه سواه، ومن جندِ اللهِ تعالى: الرعبُ الذي يقذفه الله تعالى في قلوب أعدائه، فتنهار بسببه الحصونُ المنيعةُ، وتنهزم الجيوش الجرارة، ويستسلم الجبابرةُ العتاةُ.

وقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «نُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ».[1]

١ – رواه البخاري– كِتَابُ الصَّلاَةِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "جُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا"، حديث رقم: ٤٣٨، عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَطْعُ التَّنَازُعِ من مَقَاصِدِ الشَّرعِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ﴾، وكيف قرن الله تعالى بين الفشل والتنازع؟

حكم الله تعالى أن التنازع من أعظم أسباب الفشل، ولو اجتمعت بعد ذلك كل أسباب النجاح، ولو كان ذلك في عبادة من العبادات؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾.[2]

وقد أدرك أعداء الإسلام تلك الحقيقة، فكرسوا جهودهم لبث الفرقة وإذكاء نيران الفتن بين المسلمين، ليظل التنازع بينهم قائمًا، والناظر في أحوال المسلمين يدرك ذلك لأول وهلة.

والتَّنازُعُ فِي الأصْلِ: التَّجاذُبُ فِي الخُصُومَةِ؛ لأن كل واحد من المتنازعين يريد أن ينتزع ما عند غيره.

وقَطْعُ التَّنَازُعِ من مقاصدِ الشرعِ، ولذلك نهى الله تعالى عن أسباب التنازع في كل شيء حتى العبادات؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلا رَفَثَ وَلا فُسُوقَ وَلا جِدَالَ فِي الْحَجِّ﴾.[3]

فالمراد هُوَ قَطْعُ التَّنَازُعِ فِي مَنَاسِكِ الْحَجِّ.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥٢

٢ - سُورَةُ الأنفالِ: الْآيَة/ ٤٦

٣ - سُورَةُ البقرةِ: الْآيَة/ ١٩٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وفي المعاملات أمر الله تعالى بالإِشْهَادِ وَالْكِتَابَةِ لقطعِ التَّنَازُعِ الْمُؤَدِّي إِلَى فَسَادِ ذَاتِ الْبَيْنِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾.[1]

ونهى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن كل ما يُؤدي إلى التنازعِ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ التَّقْوَى هَاهُنَا».[2]

ومن صور التنازع التي تؤدى إلى الفشل الحتمي، منازعة الحاكم الشرعي في حكمه؛ فعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِيمَا أَحْبَبْتُمْ وَكَرِهْتُمْ، فِي مَنْشَطِكُمْ ومَكْرَهِكُمْ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكُمْ، وَلَا تُنَازِعُوا الْأَمْرَ أَهْلَهُ».[3]

---

١ – سُورَةُ البقرة: الآيَة/ ٢٨٢

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ الأَدَبِ، بَابُ مَا يُنْهَى عَنِ التَّحَاسُدِ وَالتَّدَابُرِ، حديث رقم: ٦٠٦٤، ومسلم– كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظَّنِّ، وَالتَّجَسُّسِ، وَالتَّنَافُسِ، وَالتَّنَاجُشِ وَنَحْوِهَا، حديث رقم: ٢٥٦٣

٣ – رواه الطبراني في الأوسط– حديث رقم: ٢٧٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

احذر أن تخونك نفسك، أو تخدعك نيتك!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾.[1]

تأملْ قولَ اللَّهِ تَعَالَى لأَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾، وَقَدْ كَانُوا خَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، أَبَرَّهَا قُلُوبًا، وَأَعْمَقَهَا عِلْمًا، وَأَقَلَّهَا تَكَلُّفًا، واخْتَارَهُمُ اللهُ لِصُحْبَةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ!

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا كُنْتُ أَرَى أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُرِيدُ الدُّنْيَا، حَتَّى نَزَلَ فِينَا يَوْمَ أُحُدٍ: ﴿مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾.[2]

وهو بلا شك تأديب لأولئك الذين تركوا أماكنهم على جبل الرماة لجمع الغنائم، ظنًا منهم أن المعركة قد انتهت، وأن المشركين ولوا الأدبارَ.

وهو كذلك تحذير للمؤمنين جميعًا أن يريد أحدٌ منهم الدنيا بعمله، ولو كان في أعظم العبادات أجرًا، وأرفعها قدرًا؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.[3]

فَهَذَا إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، يقومان بأجلِّ عملٍ وهما من رسل الله العظام، ويُشْفِقَانِ أَنْ لَا يَتَقَبَّلَ اللهُ مِنْهمَا، فكيف بمن دونهما منزلةً، وعمله دون عملهما قدرًا؟

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥٢

٢ - تفسير الطبري (٦/ ١٤١)

٣ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَة/ ١٢٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولا يتحققُ كمالُ الإخلاصِ إلا بسوءِ الظن بالنفس، والخوف من عدم قبول الطاعات؛ كَمَا حَكَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْ حَالِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلِصِينَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾.[1]

قَالَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ أَهُوَ الَّذِي يَزْنِي، وَيَسْرِقُ، وَيَشْرَبُ الْخَمْرَ؟ قَالَ: «لَا، يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ، وَيَتَصَدَّقُ، وَيُصَلِّي، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُ».[2]

وهذه هي العلة من نهي الله تعالى المؤمنين عن تزكية أنفسهم؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَلا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾.[3]

فاحذر أن تخونك نفسك، أو تخدعك نيتك!

---

١ – سورة المؤمنون: الآية/ ٦٠

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢٥٢٦٣، والترمذي– أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الْمُؤْمِنُونَ، حديث رقم: ٣١٧٥، وابن ماجه– كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ التَّوَقِّي عَلَى الْعَمَلِ، حديث رقم: ٤١٩٨، بسند صحيح

٣ – سُورَةُ النَّجْمِ: الآية/ ٣٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنما يريد الله بك الخير

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾.[1]

تأمل قَولَ اللهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ صَرَفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ﴾، قد يمنعك الله مما تحب، ويحول بينك وبينه، ليختبر إيمانك، ويمتحن ثباتك على طاعته.

صَرَفَ اللَّهُ تَعَالَى المؤمنين يوم أحدٍ عَنْ أعدائهم بعد تمكنهم منهم، لما هو أنفع لهم من النصر مع مخالفة الأمرِ، وهذا من تمامِ عنايةِ اللهِ تعالى بهم؛ لِيَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ وَيَرْجِعُوا إِلَيْهِ وَيَسْتَغْفِرُوهُ فِيمَا خَالَفُوا فِيهِ أَمْرَهُ.

ولو تحقق لهم النصرُ مع مخالفتهم لأمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لذهب بهم العجب بالنفس كل مذهب، ولما خطرت لهم التوبة على بالٍ.

فلا تأس على محبوب فاتك، ولا تحزن على مرغوب فقدته، إذا سلم لك دينك؛ فإنما يريد الله بك الخير.

وانظر إلى من حوى الدنيا بأجمعها، وقد ذهب عنه إيمانه أتغني عنه شيئًا؟

قال ابن رجب الحنبلي: فِي بَعْضِ الْآثَارِ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «ابْنَ آدَمَ اطْلُبْنِي تَجِدْنِي، فَإِنْ وَجَدْتَنِي وَجَدْتَ كُلَّ شَيْءٍ، وَإِنْ فُتُّكَ فَاتَكَ كُلُّ شَيْءٍ، وَأَنَا أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ».[2]

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥٢

٢ - جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٣٨)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أَعْظَمُ من كلِ نعيمٍ، وأكبرُ من كلِ لذةٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.[1]

تأمل قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾!

الله تبارك وتعالى عمت فواضله الخلائق جميعًا، وتمت عليهم سوابغ نعمه، فلم خصَّ الله تعالى المؤمنين هنا بالذكر؟

خصَّ الله تعالى المؤمنين هنا بالذكر؛ لأنه أولاهم من فضائل إنعامهم، ومنحهم من فيوض عطاياه فضلًا خاصًّا.

ومن نعمه العظيمة وآلائه الجسيمة التي خصهم بها نعم الهداية للإيمان، وقد ضلَّ عنها فئام من البشر.

ومنها مغفرة السيئاتِ، والعفو عن الزلاتِ، لمن حقق التوحيد ومات على الإيمان، وهي المشارُ إليها هنا؛ ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾.

ومنها أن يأجرك الله تعالى على كل بلاء دق أو جلَّ؛ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ، مِنْ نَصَبٍ وَلاَ وَصَبٍ، وَلاَ هَمٍّ وَلاَ حُزْنٍ وَلاَ أَذًى وَلاَ غَمٍّ، حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ».[2]

ومنها أن يرفع الله تعالى درجتك بما يصيبك من البلاء؛ فعَنِ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُشَاكُ شَوْكَةً، فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كُتِبَتْ لَهُ بِهَا دَرَجَةٌ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةٌ».[3]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥٢

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ المَرْضَى، بَابُ مَا جَاءَ فِي كَفَّارَةِ المَرَضِ، حديث رقم: ٥٦٤١، ومسلم– بَابُ ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ حُزْنٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، حديث رقم: ٢٥٧٣

٣ – ومسلم– بَابُ ثَوَابِ الْمُؤْمِنِ فِيمَا يُصِيبُهُ مِنْ مَرَضٍ، أَوْ حُزْنٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُهَا، حديث رقم: ٢٥٧٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن فضلِ اللهِ على المؤمنين أَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مُؤْمِنٌ؛ بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَأَبَا هُرَيْرَةَ وَبِشْرَ بْنَ سُحَيْمٍ، وَأَمَرَهُم أَنْ يُنَادِوا فِي الْحَجِّ: «إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، إِلَّا نَفْسٌ مُؤْمِنَةٌ».[1]

ومن فضلِ اللهِ على المؤمنين الذي خصهم بهم: النظر لوجهه تعالى في جنة الخلد؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ. إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾.[2]

ومن فضلِ اللهِ على المؤمنين الذي خصهم بهم: رِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَعْظَمُ من كلِ نعيمٍ، وأكبرُ من كل لذةٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾.[3]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا».[4]

---

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ٥٩٤، والترمذي– أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ، حديث رقم: ٣٠٩٢، بسند صحيح

٢ – سُورَةُ الْقِيَامَةِ: الآية/ ٢٢، ٢٣

٣ – سُورَةُ التَّوْبَةِ: الآية/ ٧٢

٤ – رواه البخاري– كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ صِفَةِ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حديث رقم: ٦٥٤٩، ومسلم– كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ إِحْلَالِ الرِّضْوَانِ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلَا يَسْخَطُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، حديث رقم: ٢٨٢٩

منحة في ثياب محنة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.[1]

تأملْ قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَا أَصَابَكُمْ﴾. قد يكون الخيرُ كَامِنًا فِي الشرِّ، وقد يكون بعض الشرِّ دواءً مما هو أعظمُ شرًّا.

قد يصاب بعض الناس بمصيبةٍ يظن أنها قاصمة الظهرِ وأنه لا نجاةَ له منها، حتى إذا ضاقت عليه الأرض بما رحبت، تلتها مصيبةٌ هي أعظم من سابقتها، فإذا تملكه اليأس، وأنهكته شدةُ البأسِ، تكشفت أعظم المصيبتين، وانجلت عنه أخرى المحنتين، ففرح بزوالها حتى أنساه الفرح مصيبته الأولى، ولم تعد له على بالٍ، فكان علاجه في تلك المصيبة الثانية لأنها أنسته مصيبته الأولى، فكانت منحة في ثياب محنة، وهدية في طيات بلية.

لما أصاب المسلمين ما أَصَابَهُمْ مِنَ الْهَزِيمَةِ وَالْقَتْلِ يوم أُحُدٍ أصابهم الْغَمُّ، وسيطرَ عليهم الحزنُ. ولَمَّا سَمِعُوا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُتِلَ زادَ غمهم، واستحوز عليهم الحزن حتى ألقوا السلاح، فلما تبينوا سلامةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من القَتْلَ، هان عليهم ما فاتهم من الغنائم والنصر، وما أصابهم من الجراح والقتل، فرحًا بنجاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.
فتأمل لطف الله تعالى بعباده، ورحمته بهم، وعجيب تدبيره لهم!

وابحث دائمًا عن المنح في طيات المحن، وعن الهدايا في ثنايا البلايا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾.[2]

وقيل:

يضيق صدري بغمّ عند حادثة

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥٣

٢ – سُورَةُ الشَّرْحِ: الآية/ ٥، ٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

***** وربّما خير لي في الغمّ أحيانا

ربّ يوم يكون الغمّ أوّله

***** وعند آخره روحًا وريحانا

ما ضقت ذرعًا بغمّ عند حادثة

***** إلاّ ولي فَرَجٌ قد حَلَّ أو حانا

وقالَ ابْنُ السِّكِيْتِ:

إذا اشْتَملَتْ على اليأسِ القُلوبُ

***** وضاقَ بِما بهِ الصَّدْرُ الرَّحيبُ

وأوْطنَتِ المكارِهُ واطْمَأنَّتْ

***** وأرْسَتْ في مَكامِنِها الخُطوبُ

ولَمْ تَرَ لانْكِشافِ الضُّرِّ وَجْهًا

***** ولا أغْنى بِحيلَتِه الأريبُ

أتاكَ على قُنوطٍ مِنْكَ غَوْثٌ

***** يَمُنُّ بهِ اللَّطيفُ المسْتَجيبُ

وكلُّ الحادِثاتِ وإنْ تَناهَتْ

***** فَمَقْرونٌ بها الفَرَجُ القَريبُ

شَتَّانَ بينِ مُشَرّقٍ وَمُغَرّبٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾. وقَولَه تَعَالَى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾!

بعض الناسِ لا يرى إلا نَفْسَهُ، ولا يهتمُ إلا بها، ولا يعملُ إلا لها، ولا يهَمَّهُ إلا خَلَاصُها خَاصَّةً، ولا يعنيه دينُ اللهِ تعالى في قليل ولا كثير.

فإذا تعارض الدين مع رغباتِهِ ومحبوباته، طرحه وراءه ظهريًّا، وقدَّمَ مَحَابَّهُ على دينِ اللهِ تعالى، وعلى محاب الله تعالى.

فإذا أصابه ما يكره عاد باللآئمة على دين الله تعالى، وظَنَّ به أسوء الظنون وظَنَّ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ، ويتمادى في غيّهِ حتى يعلنَ بالسوءِ، ويجهر بالهجر من القول، وربما نطق بالكفرِ؛ لأنه أصابه شئٌ من الضرّ، وجرى عليه قدرُ الله تعالى بما لا يسرُّ؛ وهذا الصنف من الناس هم المعنيون بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ﴾.[2]

وأين هذا الذي يُقَدِّمُ نَفْسَهُ على دينِ اللهِ تعالى ولا يهَمَّهُ إلا خَلَاصُها من أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، الذي كان يرمي بالنَّبْلِ بين يدي رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإذا أشرفَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَنْظُرُ إِلَى الْقَوْمِ يَقُولُ أَبُو طَلْحَةَ: يَا نَبِيَّ اللَّه بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَا تُشْرِفْ لَا يُصِبْكَ سَهْمٌ مِنْ سِهَامِ الْقَوْمِ، نَحْرِي دُونَ نَحْرِكَ؟[3]

شتان بين مشرق ومغرب، شتان بين محبٍّ ومبغضٍ.

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥٤

٢ – سُورَةُ الْحَجِّ: الآية/ ١١

٣ – دلائل النبوة للبيهقي (٣/ ٢٤٠)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لولا الابتِلَاءُ ما كانَ له ذِكْرٌ ولا عُرِفَ له قَدْرٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾.[1]

تأمل قوله تَعَالَى بعدَ أحداثِ غزوة أُحُدٍ: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ.....﴾!

ما يجري عَلَيْكَ من أقدارِ اللهِ تعالى ابتلاءٌ لا شكَّ فيه، لِيَمِيزَ اللَّهُ الخبيثَ مِنَ الطَّيِّبِ، وَيُظْهِرَ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ وَالْمُنَافِقِ لِلنَّاسِ.

فقد تجري عليك أحداثٌ من الابتلاءِ تظنُّ أنها قاصمة الظهرِ، وتضيق عليك السبلُ حتى لا تجد فيها مسلكًا، وتغلق في وجهك الأبواب حتى تظنَّ أنه لا مخرجَ لك منها، ثم يجعلها الله تعالى لك رفعةَ قدرٍ، وعلوَ منزلةٍ.

لما حَدَثَ لجُرَيْجٍ ما حَدَثَ من الابتلاءِ، حتى اسْتَنْزَلُوهُ وَهَدَمُوا صَوْمَعَتَهُ بِفُئُوسِهِمْ وَمَسَاحِيهِمْ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَهُ، حتى كان قاب قوسين أو أدنى من الهلاك، ثم تداركته رحمة الله بإخلاصه، وإيمانه، وصدقه مع الله، فلما رمي بالزنا، مَسَحَ رَأْسَ الصَّبِيِّ فَقَالَ: مَنْ أَبُوكَ؟ قَالَ: أَبِي رَاعِي الضَّأْنِ، فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ مِنْهُ قَالُوا: فَأَقْبَلُوا عَلَى جُرَيْجٍ يُقَبِّلُونَهُ وَيَتَمَسَّحُونَ بِهِ، وَقَالُوا: نَبْنِي لَكَ صَوْمَعَتَكَ مِنْ ذَهَبٍ، قَالَ: لَا، أَعِيدُوهَا مِنْ طِينٍ كَمَا كَانَتْ، فَفَعَلُوا.

فرفعَ اللهُ قَدْرَهُ وأَعْلَى ذِكْرَهُ، وضَرَبَهُ مثلًا لِمَنْ شملتهم عنايةُ اللهِ تعالى.

ولولا الابتِلَاءُ ما كانَ له ذِكْرٌ ولا عُرِفَ له قَدْرٌ.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لا تصفو له طاعةٌ ولا يهنأُ بتوبةٍ، ولا يتلذذُ بعبادةٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾.[1]

تأملْ قولَ اللهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾، لتعلم خطر الذنوب والمعاصي!

مكمن الخطر في الذنوب والمعاصي أنها من أعظم أسباب تحقيق مآرب الشيطان، ومن أنجح وسائله في إغواء بني آدم لاسيما الصالحين منهم.

والشيطان أعدى أعداء بني آدم كما أخبر الله تعالى؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ﴾.[2]

وَقَالَ: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾.[3]

وَقَالَ ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلا﴾.[4]

يزين للعبد الذنب، ويدعوه إليه فإذا واقعه، وذهبت عنه سكرته، وحلت عليه حسرته، وأراد أن يتوب، وأقبل على طاعة رَبِّهِ وشرح الله تعالى لها صدره أتاه الشيطان فذكَّره بذنبه وعيَّرَه به، وقنَّطَه من رحمة ربه، وقطع رجاءه في الله تعالى قائلًا له: أتذكر ذنب كذا وكذا أتحسب الله يقبل منك عملك، وقد فعلت ما فعلت؟

وإمعانًا في تكديره، ومبالغةً في حسرته يتبرأ منه الشيطان؛ كما قال اللهُ تَعَالَى: ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ﴾.[5]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥٥

٢ – سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الْآيَة/ ٢٧

٣ – سُورَةُ فَاطِرٍ: الْآيَة/ ٦

٤ – سُورَةُ الْكَهْفِ: الْآيَة/ ٥٠

٥ – سُورَةُ الْحَشْرِ: الآية/ ١٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فلا تصفو له طاعة ولا يهنأ بتوبة، ولا يتلذذ بعبادة.

فلا تجعلوا للشيطان عليكم سبيلًا؛ ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾.[1]

١ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الْآيَة/ ٢٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مَا أَسْعَدَ المؤمِنَ بإِيمَانِهِ، ومَا أَشْقَى الفَاجِرَ بفُجُورِهِ!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا.....﴾.[1]

من أَجَلِّ نعمِ اللهِ تَعَالَى على المؤمِنِ أَنْ يعلمَ أنَّ كُلَ شيءٍ بقَضَاءٍ وقدرٍ، وَأَنَّ مَا أَصَابَهُ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَه، وَمَا أَخْطَأَه لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاعْلَمْ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَمَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ».[2]

وأَنَّهُ مُثَابٌ على كُلِ حَالٍ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ، وكِلَاهُما خَيْرٌ لَهُ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ».[3]

وأَنَّه إِذَا حَمِدَ واسترجَعَ عِندَ الْمُصِيبةِ وَجَدَ لهَا بَرْدًا على قَلْبِهِ، وإِذَا رَضِي عندَ القضاءِ رَضِي اللهُ عَنْهُ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ».[4]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥٦

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢١٥٨٩، والترمذي– أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٥١٦، والحاكم– كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حديث رقم: ٦٣٠٤، واللفظ له، بسند صحيح.

٣ – رواه مسلم– كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ الْمُؤْمِنُ أَمْرُهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، حديث رقم: ٢٩٩٩

٤ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى البَلَاءِ، حديث رقم: ٢٣٩٦، وابن ماجه– كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، حديث رقم: ٤٠٣١، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بسند حسن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومن أعظم المصائب على الكفار والمنافقين، تلك الحسرةُ التي لا تنقطعُ، وذلك الغمُّ الذي لا ينقضِي، وذلك الحزنُ الدائمُ، على قضاءِ اللهِ وقدرِهِ؛ وذلك لما يصيبهم من سخط الله على تسخطهم على أقداره.

فَمَا أَسْعَدَ المؤمِنَ بإِيمَانِهِ، ومَا أَشْقَى الفَاجِرَ بفُجُورِهِ!

هل يرضى بالدنيا إلا أفسد آخرته!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾.[1]

القتل في سبيل الله أعظم أمنية لأهل الإيمان، وهم عليه أحرص من أهل الدنيا على دنياهم، ولقد كان سلف هذه الأمة يخوضون غمرات الموت، ويقتحمون دروبه، لعلمهم أنه يفضي بهم إلى رضوان الله تعالى، ويبلغهم درج الجنان.

وكان كل واحد منهم يمني نفسه بتلك الرتبة المنيفة، ويتشوف لك المنزلة الشريفة، فإذا لاحت لهم أعلامها طاروا إليها زرافات ووحدانًا؛ ولو كانوا من ذوي الأعذار؛ وهذا عَمْرَو بْنُ الْجَمُوحِ كَانَ رَجُلًا أَعْرَجَ شَدِيدَ الْعَرَجِ، وَكَانَ لَهُ بَنُونَ أَرْبَعَةٌ مِثْلَ الْأُسْدِ، يَشْهَدُونَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَشَاهِدَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ أُحُدٍ أَرَادُوا حَبْسَهُ، وَقَالُوا لَهُ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ: قَدْ عَذَرَكَ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّ بَنِيَّ يُرِيدُونَ أَنْ يَحْبِسُونِي عَنْ هَذَا الْوَجْهِ، وَالْخُرُوجِ مَعَكَ فِيهِ، فو الله إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَطَأَ بِعَرْجَتِي هَذِهِ فِي الْجَنَّةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَمَّا أَنْتَ فَقَدْ عَذَرَكَ اللَّهُ فَلَا جِهَادَ عَلَيْكَ، وَقَالَ لِبَنِيهِ: مَا عَلَيْكُمْ أَنْ لَا تَمْنَعُوهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَرْزُقَهُ الشَّهَادَةَ فَخَرَجَ مَعَهُ فَقُتِلَ يَوْمَ أُحُدٍ.[2]

وهذا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ كَانَ رَجُلا أَعْمَى، وَكَانَ يقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوْ أَسْتَطِيعُ الْجِهَادَ لَجَاهَدْتُ.

ومع أنه الله تعالى عذره إلا أنه خرجَ يَوْمَ الْقَادِسِيَّةِ يُقَاتِلُ وَعَلَيْهِ دِرْعٌ له، ومَعَهُ رَايَةٌ سوداء.

وهذا سَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ يُسَاهِمُ أَبَاهُ فِي الْخُرُوجِ إلى غزوة بَدْرٍ، فَقَالَ سَعْدٌ لِأَبِيهِ: إنّهُ لَوْ كَانَ غَيْرَ الْجَنّةِ آثَرْتُك بِهِ، إنّي لَأَرْجُو الشّهَادَةَ فِي وَجْهِي هَذَا! فَقَالَ خَيْثَمَةُ: آثِرْنِي، وَقِرْ مَعَ نِسَائِك! فَأَبَى سَعْدٌ، فَقَالَ خَيْثَمَةُ: إنّهُ لَا بُدّ لِأَحَدِنَا مِنْ أَنْ يُقِيمَ. فَاسْتَهَمَا، فَخَرَجَ سهمُ سَعْدٍ فقتلَ بِبَدْرٍ.

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥٧

٢ – سيرة ابن هشام (٢/ ٩١)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهل يرضى بالدنيا إلا مَنْ سفه نفسه، أو أفسد آخرته!

ألم يقل اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا قَلِيلٌ﴾؟[1]

وكيف يرضى بالدنيا مَنْ سَمِعَ قَولَ تَعَالَى: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.[2]

١ - سُورَةُ التَّوبَةِ: الْآيَة/ ٣٨

٢ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مصيرُ الإنسانِ بعدَ موتِهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَئِنْ مُتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾.[1]

تأمل مصير الإنسان بعد موته!

إنه ليس مصيرًا مجهول ما يتوهم بعض الناس، بل هو معلومٌ تمامَ العلمِ، مصيرُ كلِ إنسانٍ إلى اللَّهِ تَعَالَى؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[2]

إنما المجهول هو ما يفضي إليه أمر أغلب الناسِ، إلى الجنة أو إلى النار عياذًا بالله؟

وهنا مكمن الخوف، وهو ما يؤول إليه أمر العبدِ؟

إلى الجنة فيسعد سعادةً لا شقاءَ بعدها أبدًا، أو إلى النارِ فيشقى شقاءًا لا سعادةَ بعده أبدًا؟

وما الموت إلا انتقالٌ من حياةٍ إلى حياةٍ، من حياة الدنيا إلى حياة البرزخ، ثم حياة أبدية في الجنة أو في النار.

وليس الخوف من الموتِ أو القتلِ، إنما الخوف مما يعقب ذلك.

وَلَو أَنّا إِذا مُتنا تُرِكنا

***** لَكانَ المَوتُ راحَةَ كُلِّ حَيّ

وَلَكِنّا إِذا مُتنا بُعِثنا

***** وَنُسأَلُ بَعدَ ذا عَن كُلِ شَيّ

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥٨

٢ – سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٦١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فالْكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وعلم أنه موقوف بين يدي الله تعالى ومسؤول، فأعدَّ للسؤال جوابًا، فهذا الذي يرجو لقاء الله تعالى، ولا يبالي على أي جنب كان في الله مصرعه.

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ» فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ أَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ؟ فَكُلُّنَا نَكْرَهُ الْمَوْتَ، فَقَالَ: «لَيْسَ كَذَلِكِ، وَلَكِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا بُشِّرَ بِرَحْمَةِ اللهِ وَرِضْوَانِهِ وَجَنَّتِهِ، أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ، فَأَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ، وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا بُشِّرَ بِعَذَابِ اللهِ وَسَخَطِهِ، كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ، وَكَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ».[1]

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابٌ: مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، حديث رقم: ٦٥٠٧، ومسلم- كتاب الْعِلْمِ، بَابُ مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللهِ أَحَبَّ اللهُ لِقَاءَهُ وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللهِ كَرِهَ اللهُ لِقَاءَهُ، حديث رقم: ٢٦٨٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هل رأيت له في الخلقِ مثيلًا، أو تناهى إلى سمعك له شبيه؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾.[1]

تأمل ذَلك الخُلُقَ لرسولِ اللهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي لا يكاد ينقضي منه العجب خُلُقَ الرحمةِ!

ومن فرط رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حزنه على ما يشق على أمته؛ فعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «اللهُمَّ، مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ، وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ».[2]

ومن فرط رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حزنه على تَكْذِيبِ قَوْمِهِ لَهُ وأسفه عليهم؛ كمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾.[3]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾.[4]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾.[5]

فمن فرط رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حرصه الشديدُ على هدايةِ الناسِ جميعًا؛ كمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾.[6]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥٨

٢ – رواه مسلم– كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضِيلَةِ الْإِمَامِ الْعَادِلِ، وَعُقُوبَةِ الْجَائِرِ، وَالْحَثِّ عَلَى الرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ، وَالنَّهْيِ عَنْ إِدْخَالِ الْمَشَقَّةِ عَلَيْهِمْ، حديث رقم: ١٨٢٨

٣ – سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: الآية/ ٣

٤ – سُورَةُ الْكَهْفِ: الآية/ ٧

٥ – سُورَةُ فَاطِرٍ: الآية/ ٨

٦ – سُورَةُ التَّوْبَةِ: الْآيَة/ ١٢٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بل ظهرت آثارُ رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، على العالمين؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾.[1]

فمن آمَنَ بِهِ تحققت له السعادةُ فِي الدُّنْيَا، وَفازَ فِي الْآخِرَةِ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِهِ عُوفِيَ مِمَّا أَصَابَ الْأُمَمَ السابقةَ فِي الدُّنْيَا.

ومن فرط رحمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عفوه عمن أراد قتله؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَةً قِبَلَ نَجْدٍ، فَأَدْرَكَنَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي وَادٍ كَثِيرِ الْعِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ شَجَرَةٍ، فَعَلَّقَ سَيْفَهُ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا قَالَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي الْوَادِي يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ رَجُلًا أَتَانِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَأَخَذَ السَّيْفَ فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِي، فَلَمْ أَشْعُرْ إِلَّا وَالسَّيْفُ صَلْتًا فِي يَدِهِ، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ قُلْتُ: اللهُ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّانِيَةِ: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قَالَ قُلْتُ: اللهُ، قَالَ: فَشَامَ السَّيْفَ فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ"، ثُمَّ لَمْ يَعْرِضْ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[2]

فهل رأيت له في الخلقِ مثيلًا، أو تناهى إلى سمعك له شبيه؟

ومع فرط رحمته وعظيم شفقته، يرمى أتباعه بالإرهاب، ويوسم دينه بالشدة مشاقةً له، وتنفيرًا للناس عنه.

اللهم احشرنا في زمرته، وتحت لوائه.

---

١ – سُورَةُ الأنبياء: الآية/ ١٠٧

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ مَنْ عَلَّقَ سَيْفَهُ بِالشَّجَرِ فِي السَّفَرِ عِنْدَ القَائِلَةِ، حديث رقم: ٢٩١٠، ومسلم– كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ تَوَكُّلِهِ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَعِصْمَةِ اللهِ تَعَالَى لَهُ مِنَ النَّاسِ، حديث رقم: ٨٤٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

سوءُ الخُلُقِ يُطْمِسُ كُلَ حَسَنٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾.[1]

تَأَملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى لرسولهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾، ينفضُّ الناس عنه وهم يعلمون أنه رسول الله، وأن نجاتهم في متابعته، وأن فلاحهم في التأسي به، وأن سعادتهم في قربه، ومع ذلك يتناسى الناس كل ذلك أمامَ الغلظةِ والفظاظةِ.

لأنَّ البعض يبرر لنفسه التجهم في وجوه الناس، ويسوغ لها الغلظة عليهم، ويبحث لنفسه عن الاعذار لفظاظته، فأي نجاح يرجوه، وأي إصلاح يبتغيه وهو محكوم عليه بالفشل بسبب هذه الفظاظة وتلك الغلظة، وذلك الجفاء!

إن للنجاح أسبابًا أهمها حسن الخلق ومن حسن الخلق: الرحمة والرفق واللين.

فمن رام النجاح بغيرها، كمن يريد جني العسل من العلقم.

قَالَ أَبُو العَتاهِيَةِ:

تَرجو النَّجاةَ ولَمْ تسلُكْ مَسالِكَها

***** إن السَّفينةَ لا تَجْري على اليَبَسِ

وحُسنُ الخُلُقِ يسترُ كلَ عيبٍ، كما أنَّ سوءَ الخُلُقِ يطمسُ كلَ حَسَنٍ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهماُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْخُلُقُ الْحَسَنُ يُذِيبُ الْخَطَايَا كَمَا يُذِيبُ الْمَاءُ الْجَلِيدَ، وَالْخُلُقُ السُّوءُ يُفْسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ».[2]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥٨

٢ – رواه الطبراني في المعجم الكبير– حديث رقم: ١٠٧٧٧، والأوسط– حديث رقم: ٨٥٠، والبيهقي في شعب الإيمان– حديث رقم: ٧٦٧٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أنجعُ علاجٍ وأسرعُ ترياقٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.[1]

تأملْ عنايةَ اللهِ تعالى بأصحابِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومحبَّتَه سبحانه وتعالى لهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم في ذلك التَّرَقِّي في الكلامِ، حيثُ أمرَ رسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بالعفو عنهم لمخالفتهم أمره في غزوة أحدٍ، لعدم قصد المخالفة، ثم الاستغفار لهم عَلَى مَا صَنَعُوا مِنْ مُغَادَرَةِ مَرَاكِزِهِمْ، ليزيل ما في قلوبهم من الحزن على اقتراف ذلك الذنب؛ ثم مشاورتهم فِي الأَمْرِ مع عدم احتياجه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لمشورتهم، لتطيبَ بذلك نُفُوسُهُم وتذهبَ عنها كل وحشةٍ، وَليرفْعَ بذلك أَقْدَارَهُم.

ولا عجب أن يشملهم الله تعالى بعنايته، وأن يعمهم بفضله وإحسانه، فإنهم صفوة الله تعالى من خلقه بعد الأنبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وقد اختارهم الله تعالى لصحبة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وحمل أمانة الدين بعده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم تأمل العلة في أمر الله تعالى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالاستغفار لهم، ولِمَ لمْ يخبرهم تعالى بالمغفرةِ ابتداءً؟

ولو فعل ذلك لظلت قُلُوبهم منكسرةً أمامَ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبقيت نفوسهم في وحشتها مما تسببوا له فيه، فلما عفا عنهم واستغفر لهم ازدادوا له حبًّا، وازدادوا منه قربًا.

ومهما بحثت عن علاجٍ يزيلُ أثرَ تلك الحادثةِ من صدورِ أصحابِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ويزيل وحشتها فلن تجد ترياقًا أسرعَ مفعولًا، ولا علاجًا أنجعَ من تلك الكلمات الحانية، التي تزيل عن القلب كل كدر، وتمحو عنه من الحزن كل أثر.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

مَنْ لَمْ يُقَدِّمْهُ عَزْمُهُ أَخَّرَهُ عَجْزُهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.[1]

تأملْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى لرسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعدَ أمْرِهِ بالاسْتِشَارَةِ: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، ولِمَ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بالْمُضِيّ في الأمرِ بعد الْعَزْمِ عليه؟

الْعَزْمُ هُوَ التَّصْمِيمُ عَلَى الْفِعْلِ بعد الرَّوِيَّةِ فِيهِ. وَقيلَ: الْعَزْمُ التأهب قبلَ الأمرِ والحزمُ المضيُّ فيه.

فإذا ظل المرءُ مترددًا بَعْدَ الرَّوِيَّةِ وَالاسْتِشَارَةِ في الْعَزْمِ على الفِعْلِ، كانَ ذلك دليلًا على فَسَادِ الرَّأي، وضَعْفِ العقلِ، وقلةِ اليقين، وسوءِ التدبيرِ.

وما أحسنَ قَولِ القَائِلِ:

إِذَا كُنْتَ ذَا رَأيٍ فَكُنْ ذَا عَزِيْمَةٍ

***** فَإِنَّ فَسَادَ الرَّأي أَنْ تَتَرَدَّدَا

وَإِنْ كُنْتَ ذَا عَزْمٍ فَانْفُذْهُ عَاجِلًا

***** فَإِنَّ فَسَادَ العَزْمِ أَنْ يتقيّدَا

فَإِذَا عَزَمْتَ بَعْدَ الرَّوِيَّةِ وَالشُّورَى وَتَبَيَّنَ لَكَ وَجْهُ السَّدَادِ فِيمَا عَزَمْتَ عَلَيهِ فَلَا تَتَرَدَّد فِيهِ، وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ، فإنَّ مَنْ لَمْ يُقَدِّمْهُ عَزْمُهُ أَخَّرَهُ عَجْزُهُ.

وقالوا: الحزمُ انتهازُ الفرصةِ عند تَمَكُنِ القدرةِ، وتركُ التَّوانِي فيما يخافُ فيه الفَوتَ.

وقيلَ:

ما الْعَزْمُ أن تَشْتَهِي شيئًا وتَتْرُكَهُ

***** حَقِيقَةُ الْعَزْمِ منك الجدُّ والطلبُ

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥٩

www.alukah.net

كم سوفتْ خِدَعُ الآمالِ ذَا أربٍ

***** حَتَّى انقَضَى قبلَ أَنْ يَنْقَضِي لَهُ الأربُ

اللهُمَّ إِنَّا أَنسْأَلُكَ إِيمَانًا لَا يَرْتَدُّ، وَنَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَمُرَافَقَةَ نَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَعْلَى جَنَّةِ الْخُلْدِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

آثَرُوا اللهَ عَلَى مَا سِوَاهُ فَفَازُوا بِمَحَبَتَهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾.[1]

تأملْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾! وما سببُ محبة اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُتَوَكِّلِينَ؟

إذا علمت أن التوكلَ هو صدق اعتماد القلب على الله تعالى مع الأخذ بالأسبابِ، تبين لك سببُ محبة اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُتَوَكِّلِينَ.

فإن المتوكل على الله تعالى يفوض أمره إليك، ويركن بكليته عليه، ويتبرأ من حوله وقوته إلى حول الله وقوته.

ولما كان التوكل على الله تعالى من أجلِّ أعمال القلوب، كان الأنبياء والمرسلون عليهم الصلاة والسلام، أكمل الناس توكلًا على الله، وأوثق الناس بما عند الله تعالى.

وهذا نبي الله هُودٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يقفُ وَحْدَه أمامَ قَومِهِ لا يَرُوعُه تَهْدِيدُهُم ولا يُخِيفُه وَعِيدُهُم، ويتحداهم أن ينالوه بأذى، أو يصيبه منهم مكروه؛ لَمَّا قَالَ لَهُ قَوْمُهُ: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ * مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.[2]

وَهَذَا خليلُ اللهِ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يعلنُ لقومه ثقته بالله تعالى وتوكله عليه، ويتحدى المشركين وأوثانهم أن ينالَه منهم أذى فيقول: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنزِلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾.[3]

وهذا نَبِي اللهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا ينقطع رجاؤه في الله طرفة عين، ولا تخبو جذوة توكله على الله تعالى في قلبه لحظة واحدةً؛ ولما زاغت أعين أصحابه، وبلغت قلوبهم الحناجر، وأيقنوا

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٥٩

٢ – سُورَةُ هُودٍ: الْآيَة/ ٥٤– ٥٦

٣ – سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَة/ ٨١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بالهلاك فقالوا: ﴿إِنَّا لَمُدْرَكُونَ﴾، قال لهم بلسان الواثق بربه: ﴿كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.[1]

وهذا رسُولُنا محمدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يقول له أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وهما فِي الْغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا تَحْتَ قَدَمَيْهِ. قَالَ: فَقَالَ: "يَا أَبَا بَكْرٍ، مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا".[2]

ولما رفع أحد المشركين عليه السيف وقال: يا محمدُ مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ ما تردد ولا توانى وإنما أجابه إجابة الواثق، وردَّ عليه ردَّ المتوكلِ الصدقِ في توكله فقال: الله.

فَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قِبَلَ نَجْدٍ، فَلَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَفَلَ مَعَهُ، فَأَدْرَكَتْهُمُ القَائِلَةُ فِي وَادٍ كَثِيرِ العِضَاهِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقَ النَّاسُ فِي العِضَاهِ، يَسْتَظِلُّونَ بِالشَّجَرِ، وَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَحْتَ سَمُرَةٍ فَعَلَّقَ بِهَا سَيْفَهُ. قَالَ جَابِرٌ: فَنِمْنَا نَوْمَةً، ثُمَّ إِذَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدْعُونَا فَجِئْنَاهُ، فَإِذَا عِنْدَهُ أَعْرَابِيٌّ جَالِسٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ هَذَا اخْتَرَطَ سَيْفِي وَأَنَا نَائِمٌ، فَاسْتَيْقَظْتُ وَهُوَ فِي يَدِهِ صَلْتًا، فَقَالَ لِي: مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي؟ قُلْتُ: اللَّهُ، فَهَا هُوَ ذَا جَالِسٌ" ثُمَّ لَمْ يُعَاقِبْهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.[3]

أرأيت سببَ محبةِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُتَوَكِّلِينَ؟

آثروا الله تعالى على كل ما سواه، ففازوا بمحبته، ووثقوا فيه تعالى أكثر مما في أيديهم، فأذاقهم حلاوة الإيمان، ولم يركنوا لأحد غيره، فلم يكلهم إلى غيره.

---

١ - سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: الْآيَة/ ٦١، ٦٢

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، حديث رقم: ٤٦٦٣، ومسلم- كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حديث رقم: ٢٣٨١

٣ - رواه البخاري- كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ مَنْ عَلَّقَ سَيْفَهُ بِالشَّجَرِ فِي السَّفَرِ عِنْدَ القَائِلَةِ، حديث رقم: ٢٩١٠، ومسلم- كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ تَوَكُّلِهِ عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَعِصْمَةِ اللهِ تَعَالَى لَهُ مِنَ النَّاسِ، حديث رقم: ٨٤٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لِمَاذَا تخلَّفَ النَّصْرُ؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ.....﴾.[1]

تأمل قول اللَّهَ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ....﴾. لتعلم أن سببَ ضياع المسلمين في زماننا هذا، حتى أصبحوا كالأيتام على موائد اللئام، هو أن الله تعالى لم ينصرنا.

ولو نصرنا الله تعالى لانتصرنا على العالم من شرقه إلى غربه، كما فعل أسلافنا – ولو كاد لنا أهل الأرض جميعًا – وهي سنة لا تتخلف.

ويجب علينا أن نسأل: لِمَ لَمْ ينصرنا الله تعالى ونحن ندين بالإسلام الدين الذي ارتضاه لنا، ونحن ندعوه ليل نهارَ أن يبدل ذلنا عزًا، وضعفنا قوة؟

والجواب في كتاب الله تعالى، أوضح من الشمس في رابعة النهار.

وقبل أن نبين الجواب يجب علينا أن نعلم أن سنن الله تعالى لا تحابي أحدًا، فلما خالف المسلمون أمرًا واحدًا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في غزوة أحدٍ هزموا هزيمة منكرة، وقتل منهم سبعون من خيرة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين، وكسرت رباعية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشج رأسه وكاد أن يقتل.

ولم يشفع لهم من حلول العقاب بهم وجود رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بينهم، ولم تشفع لهم صحبتهم لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولم يشفع لهم جهادهم في سبيل الله تعالى.

إنها السنن التي لا تتخلف، والقانون الصارم الذي لا يحابي أحدًا.

أما لماذا تخلف النصر؟ ولماذا صرنا أذلة بعد عزٍ، مستضعفين بعد قوة تضاءلت أمامها كل قوة في الأرض؟

فالجواب على ذلك أننا لم ننصر الله تعالى.

وهل ينصرُ اللهَ من يحارب دينه، ويعادي أولياءه، ويوالي أعداءه؟

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذا حالنا الذي لا يخفى على أحدٍ، نحارب دين الله تعالى، حين نعلن أننا نحارب الإرهاب، ونحن نعلم أن المراد به هو الإسلام، ونعادي أولياءه، حين نعادي من ينادي بتطبيق شرع الله تعالى، ونوالي أعداءه، وقد قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[1]

لم ينصرنا الله تعالى لأنه لا ينصر إلا من نصر دينه، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ﴾.[2]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ ﴾.[3]

لَمْ ينصرْنَا الله تعالى لأَنَّنَا لسنا أهلًا لنصره، إنما ينصر الله تعالى جنْدَهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ جُنْدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾.[4]

ولا يتحقق نصر الله تعالى لأوليائه بمجرد الدعاء وحده؛ لأنه يكون عندئذٍ تواكلًا وليس توكلًا، وعجزًا وليس عزمًا، ولو كان ذلك ممكنا لما أريقت قطرة دم في سبيل الله تعالى.

إنما يتحقق نصر الله تعالى حين تتوفرُ أسبَابُه؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.[5]

وأعظم أسبابه ألا نخالف لله أمرًا، وأن نعلم أن مصدر عزنا هو دين الله تعالى.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٢٨

٢ - سُورَةُ الْحَجِّ: الآية/ ٤٠

٣ - سُورَةُ مُحَمَّدٍ: الآية/ ٧

٤ - سُورَةُ الصَّافَّاتِ: الآية/ ١٧٣

٥ - سُورَةُ الرَّعْدِ: الآية/ ١١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

العِزُّ فِي كَنَفِ الْعَزِيزِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾.[1]

تأملْ قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ﴾. لتعلمَ مَدَى خُسْرَانِ مَنْ خَذَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى!

وَإذا علمتَ أنَّ الْخِذْلَانَ: هُوَ التَّرْكُ فِي مَوْضِعٍ يُحْتَاجُ فِيهِ إِلَى التَّارِكِ؛ فإنَّ أعظمَ مصيبةٍ أنْ يتركَ اللَّهُ تَعَالَى العبدَ، وأنْ يَكِلهُ إلى نفْسِهِ، فإنَّ العبدَ يفتقرُ إلى اللَّهِ تَعَالَى في كلِ نَفَسٍ، وفي كلِ حركةٍ وسكنةٍ؛ لذلك كانَ من دعاءِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي علَّمَنَاهُ لا سيما عند الكُرَبِ: «اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»؛ فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ».[2]

ومن خذله الله تعالى أذله ولو كان معه أهل الأرض، ومن نصره الله تعالى أعزَّه ولو كاده أهل الأرض.

العِزُّ فِي كَنَفِ العزيزِ ومَنْ

***** عبَدَ العَبِيدَ أذَلَّهُ اللهُ

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦٠

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢٠٤٣٠، وأبو داود– كِتَاب الْأَدَبِ، أَبْوَابُ النَّوْمِ، بَابُ مَا يَقُولُ إِذَا أَصْبَحَ، حديث رقم: ٥٠٩٠، بسند حسن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يا حسرةَ مَنْ يترخصُ في الحرامِ، ويا خيبةَ مَنْ يتجرأُ على مالِ اللهِ!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.[1]

تأمل قول اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، مَنْ غَلَّ شيئًا سيأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جليلًا كان أو حقيرًا، صغيرًا كان أو كبيرًا.

فيا حسرةَ مَنْ يترخصُ في الحرامِ، ويا خيبةَ مَنْ يتجرأُ على مالِ اللهِ!

أَمَّا كيفَ يَأْتِي بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فقد بَيَّنَ لنا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ، فَذَكَرَ الْغُلُولَ، فَعَظَّمَهُ وَعَظَّمَ أَمْرَهُ، ثُمَّ قَالَ: «لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ بَعِيرٌ لَهُ رُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ فَرَسٌ لَهُ حَمْحَمَةٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ شَاةٌ لَهَا ثُغَاءٌ، يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ نَفْسٌ لَهَا صِيَاحٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ رِقَاعٌ تَخْفِقُ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ، لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رَقَبَتِهِ صَامِتٌ، فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَغِثْنِي، فَأَقُولُ: لَا أَمْلِكُ لَكَ شَيْئًا، قَدْ أَبْلَغْتُكَ».[2]

ليس هذا فحسب بل يشتغلُ عليه ما غَلَّهُ نارًا في قبرِهِ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَوْمَ خَيْبَرَ، فَلَمْ نَغْنَمْ ذَهَبًا وَلاَ فِضَّةً، إِلَّا الأَمْوَالَ وَالثِّيَابَ وَالمَتَاعَ، فَأَهْدَى رَجُلٌ مِنْ بَنِي الضُّبَيْبِ، يُقَالُ لَهُ رِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ، لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦١

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ الغُلُولِ، حديث رقم: ٣٠٧٣، ومسلم- كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ الْغُلُولِ، حديث رقم: ١٨٣١

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غُلاَمًا، يُقَالُ لَهُ مِدْعَمٌ، فَوَجَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى وَادِي القُرَى، حَتَّى إِذَا كَانَ بِوَادِي القُرَى، بَيْنَمَا مِدْعَمٌ يَحُطُّ رَحْلًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا سَهْمٌ عَائِرٌ فَقَتَلَهُ، فَقَالَ النَّاسُ: هَنِيئًا لَهُ الجَنَّةُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَلَّا، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّ الشَّمْلَةَ الَّتِي أَخَذَهَا يَوْمَ خَيْبَرَ مِنَ المَغَانِمِ، لَمْ تُصِبْهَا المَقَاسِمُ، لَتَشْتَعِلُ عَلَيْهِ نَارًا».[1]

أمَّا كيف يقوى على حمل ذلك يوم القيامة وقد يكون الذي غله أرضًا أو بيتًا؟

فإنَّ ذلك من العذاب الذي يكون في أرض المحشر، والله على كل شيءٍ قديرٍ.

فتخففوا يا عباد الله من أحمالِكُم فإنَّ أمَامَكَم عقبةٌ كؤودٌ لا يجتازها إلا كلُ ضامرٍ هزيلٍ، فكيف بصاحبِ الحملِ الثقيلِ؟

١ – رواه البخاري– كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ غَزْوَةِ خَيْبَرَ، حديث رقم: ٤٢٣٤، ومسلم– كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ غِلَظِ تَحْرِيمِ الْغُلُولِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ، حديث رقم: ١١٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عدلٌ مطلقٌ لا تضيعُ معه مثقالُ ذرةٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ وَمَنْ يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.[1]

تأملْ قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ﴾، أي: تأخذُ كُلُّ نَفْسٍ جزاءَ مَا كَسَبَتْ مستوفيًا، سواءً كان ثوابًا على الطاعاتِ أو عقابًا على الآثامِ والسيئات.

حيث لا ظلم، ولا جور، ولا محابة، ولا رشوة، ولا استئناف.

بل عدلٌ مطلقٌ لا تضيع معه مثقالُ ذرةٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.[2]

وأدلة دامغة لا يفيد معها الإنكارُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾.[3]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[4]

وشهودٌ لا مغمزَ فيهم ولا مطعنَ عليهم؛ ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾.[5]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.[6]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦١

٢ – سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ: الآية/ ٧، ٨

٣ – سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الآية/ ١٣، ١٤

٤ – سُورَةُ الْجَاثِيَةِ: ٢٨، ٢٩

٥ – سُورَةُ يس: الآية/ ٦٥

٦ – سُورَةُ فُصِّلَتْ: الآية: ٢٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وميزان يزن مثاقيل الذر؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾.[1]

وحقوقٌ لا تسقطُ بالتقادمِ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ».[2]

ثم عدلٌ لا يشوبه شيءٌ من الظلمِ، بل أمانٌ مطلقٌ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

١ – سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: الآية/ ٤٧

٢ – رواه مسلم– كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم: ٢٥٨٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

رَجَعَ يجرُّ أذيالَ الخيبةِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾.[1]

تأملْ تلك المقارنة في قول الله تَعَالَى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ كَمَنْ بَاءَ بِسَخَطٍ مِنَ اللَّهِ﴾، وذلك السؤال الذي يرادُ به الإنكارُ على من يسوي بين الفريقين!

هل يستوي في حكم العقل مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللَّهِ فَامْتَثَلَ أَوَامِرَهُ وَاجْتَنَبَ نَوَاهِيهِ، بمَنْ عَصَى رَبَّهُ فَبَاءَ بِسَخَطِهِ!

الأولُ جَعَلَ شَرَعَ اللَّهِ تعالى له دَلِيلًا يَتْبَعُهُ ونبراسًا يَهْتَدِي بِهِ، وما هو الظنُّ بمن كان دليله القرآن السنة؟

ما الظنُّ بمن شأنه الطاعة مع مولاه، إلا أن يرضى عنه، ويكرمه بدار كرامته؟

والآخر أُمِرَ بِأَنْ يَتَّبِعَ شَرَعَ اللَّهِ تَعَالَى فأبى إلا أن يتبعَ كل ناعقٍ، ويسلك سبيل كل فاجرٍ فَرَجَعَ يجرُّ أذيالَ الخيبةِ، قد خسرَ نفسه وخسرَ دينه، وَبَاءَ بِسَخَطِ رَبِّهِ.

وما الظنُّ بمن جعل شرعَ اللهِ تعالى وراءَهُ ظهريًّا، لا يمتثل له بأمرٍ ولا يجتنب له نهيًا؟

ما الظن بمن لا يعرف إلا العصيان والمخالفة لمولاه، إلا أن يسخط عليه، ويذيقه من أليم عقابه؟

فَازَ الأولُ فوزًا عظيمًا، وخَسِرَ الآخرُ خُسْرَانًا مُبِينًا.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦٢

فاحذر أن تكون من الخاسرين، بسلوك سبيل العصاة، فتبوء بسخط مولاك!

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «كُلُّ أُمَّتِي يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ إِلَّا مَنْ أَبَى»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَنْ يَأْبَى؟ قَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي دَخَلَ الجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ أَبَى».[1]

١ – رواه البخاري– كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٧٢٨٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مِنْ أَيِّ الفَرِيقَينِ أنت؟ وَفِي أَيِّ الدَّرَجَاتِ مَنْزِلَتُكَ؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾.[1]

تأملْ قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾، والكلام عن أَهْلِ الْخَيْرِ وَأَهْلِ الشَّرِّ، عن المؤمنين الطائعين وعن العصاة المجرمين، من أي الفريقين أنت؟ وفي أي الدرجات منزلتك؟

فمن المؤمنين من هو في أعلى الدرجات، وأرفع المنازل؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ﴾.[2]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلامًا﴾.[3]

سُمِّيَتْ غُرْفَةً لِارْتِفَاعِهَا.

ومن النَّاسِ مَنْ هو في أحطِّ الدركات، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كَلا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾.[4]

وَهُوَ سِجْنٌ ضَيِّقٌ فِي أَسْفَلِ جَهَنَّمَ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾.[5]

فلا إله إلا الله، كم بين أعلى الدرجات وأسفلها من تفاوت!

وكم بين سعادةِ الأَبْرَارِ وشقاءِ الْفُجَّارِ من تباين!

فيا نفسُ من أي الفريقين أنت؟

من السعداء أم من الأشقياء؟

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦٣

٢ - سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ: الآية/ ١٨

٣ - سُورَةُ الْفُرْقَانِ: الآية/ ٧٥

٤ - سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ: الآية/ ٧

٥ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ١٤٥

وفي أي الدرجات منزلتك؟

فِي عِلِّيِّينَ، أم في سِجِّينٍ؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حاد عن منهج المؤمنين، وتنكب صراط المتقين

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلالٍ مُبِينٍ﴾.[1]

أجل نعمة على أهل الإيمان هي بعثةُ رسولِ اللهِ محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فبه عرفنا القرآن، وبتأديبه زكى الله تعالى نفوسنا، وانظر إلى تلك الأخلاق التي لا عهد للناس بها، والتي يظنها كثير من الناس ضعفًا وخورًا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾.[2]

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ».[3]

فإن كان لابد من رد العدوان، ولا مناص من العقاب فليكن بقدر العدوان لا يزيد قيد شعرة؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ﴾. [النَّحْلِ:١٢٩]، فَشَرَعَ الْعَدْلَ وَهُوَ الْقَصَاصُ، وَنَدَبَ إِلَى الْفَضْلِ وَهُوَ الْعَفْوُ.

أين هذا من قول عَمْرو بْن كُلْثُوم؟

أَلَا لَا يَجْهَلَنْ أَحَدٌ عَلَيْنَا

***** فَنَجْهَلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنِّي لَآخُذُ الشَّاةَ لِأَذْبَحَهَا فَأَرْحَمَهَا، قَالَ: «وَالشَّاةُ إِنْ رَحِمْتُهَا رَحِمَكَ اللَّهُ».[4]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦٤

٢ – سُورَةُ فُصِّلَتْ: الآية/ ٣٤

٣ – رواه مسلم– كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ صِلَةِ الرَّحِمِ وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا، حديث رقم: ٢٥٥٨

٤ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٥٥٩٢، والبخاري في الأدب المفرد– حديث رقم: ٣٧٣، والحاكم في المستدرك– كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، حديث رقم: ٦٤٨٢، بسند صحيح

فأين هذا من قَول مهلهل بن ربيعة؟

يبكي علينا وَلَا نبكي على أحدٍ

***** لنَحْنُ أغْلظ أكباداً من الْإِبِل

وعلَّمَنَا اللهُ تعالى به من الجهالة، وبصرنا به من العمى؛ فيعلم صبيان المسلمين من أسماء الله تعالى وصفاته، والغاية من خلق العباد، ما خفي على كبار الفلاسفة، وضل في سبيل تحصيله المفكرون من غير هذه الملة.

فإذا رأيت من يزعم أنه لا يلزمه الأخذ بقولِ رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاعلم أنه سلك غير سبيل المسلمين، وحاد عن منهج المؤمنين، وتنكب صراط المتقين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كيف يلم شعثه مَنْ لم ير عيبه، ويعلم خطأه؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[1]

تأملْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾، قبل أن تعود باللآئمة على غيرك، وتندب حظك العاثر، وتبكي قلة الناصرِ، وتشكو دهرك الغادر، اعلم أن مصابك بشؤم معصيك، ومن سوء رأيك، ومن فسادِ تدبيرك؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾.[2]

وكيف ينهض من كبوته مَنْ لم يرى حجر عثرته، ويقف على سبب زَلَّتِه؟

وكيف يلم شعثه مَنْ لم ير عيبه، ويعلم خطأه؟

اعلم يقينا أنه ما أصابك من مصيبة دقت أو جلت، إلا بذنبك وعصيانك، وسبيل تجاوزها التوبة إلى الله تعالى؛ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا نَزَلْ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ.

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.[3]

فَمن غَيَّرَ طَاعَةَ اللَّهِ بِمَعْصِيَتِهِ، غَيَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْعَافِيَةَ بِالْعُقُوبَةِ، جَزَاءً وِفَاقًا، وَمَنْ غَيَّرَ الْمَعْصِيَةَ بِالطَّاعَةِ، غَيَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ بِالْعَافِيَةِ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦٥

٢ - سُورَةُ الشُّورَى: الآية/ ٣٠

٣ - سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٥٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كن على حذر في كل ما تأتي وما تذر

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ (١٦٦) وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا﴾.[١]

تأملْ قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾. بعد ذكرِ ما أصاب المسلمين يومَ أحدٍ!

وإياك أن تظن أن الله تعالى يخفى عليه شيءٌ؛ وكيف يخفى عليه شيء وهو القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ﴾.[٢]

وإياك أن تتوهم أن شيئًا يعزب عن علم الله تعالى، وكيف يعزب عن علمه شيء وقد قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَلا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾؟[٣]

وإنما كان ذلك ابتلاءً يبتلي الله تعالى به عباده، ليتميز المؤمن الصادق من الدعي الكاذب، والمحسن من المسيء، والبرُّ من الفاجرِ، حتى يعلم العبادُ ذلك علمًا لا يخالجهم فيه شكٌّ، ويظهر لهم ظهورًا لا مريةَ فيه.

وقد أحسن القائلُ:

إذا ما خَلَوتَ الدَهرَ يَوماً فَلا تَقُل

***** خَلَوتُ وَلَكِن قُل عَلَيَّ رَقيبُ

وَلا تَحسَبَنَّ اللَهَ يُغفِلُ ما مَضى

***** وَلا أَنَّ ما يَخفى عَلَيهِ يَغيبُ

فكن على حذر في كل ما تأتي وما تذر، ففي كل نعمة ابتلاءٌ وفي كل محنة مدكر.

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦٦، ١٦٧

٢ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ٦

٣ – سُورَةُ يُونُسَ: الآية/ ٦١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

احذر أن تخالف بلسانك ما يعتقد جنانك

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا قَالُوا لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ﴾.[1]

احذر أن تخالف بلسانك ما يعتقد جنانك، واحذر أن تعتقد بجنانك ما يخالف دينك!

تأمل قول المنافقين: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾، وهم يعلمون في قرارة نفوسهم أن رحى الحرب ستدور بعد سويعات، وأن سهام المنايا قد شدت إلى أقواسها، وأن الموت سيحصد أرواحًا حان قطافها، ومع ذلك قال هؤلاء المنافقون بألسنتهم مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ، قالوا: ﴿لَوْ نَعْلَمُ قِتَالًا لَاتَّبَعْنَاكُمْ﴾، واعتقدوا بقلوبهم ما يسخط ربهم؛ وظنوا أنها النهاية للإسلام، وأن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه رضوان الله عليهم، لن يرجعوا إلى المدينة أبدًا، لأنهم سيكونون بين قتيل وأسير، ومنوا أنفسهم بذلك، وانشرحت له صدورهم؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا﴾.[2]

وهذا دأبهم وديدنهم، وشأنهم في كل موطن، التلون والمخادعة، والكذب في أقبح صوره؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾.[3]

والنتيجة الحتمية للكذب: ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾، نتيجة بنيت على مقدمة.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦٧

٢ - سُورَةُ الْفَتْحِ: الآية/ ١٢

٣ - سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ: الآية/ ١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

أرأيت العلة التي من أجلها قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُطْبَعُ الْمُؤْمِنُ عَلَى الْخِلَالِ كُلِّهَا إِلَّا الْخِيَانَةَ وَالْكَذِبَ».[1]

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢٢١٧٠، وابن أبي عاصم في السنة– حديث رقم: ١١٤، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ بسند ضعيف

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنْفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى على لِسَانِ المنافقين: ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾، لتعلم حال المعرضين عن شرع الله تعالى!

فلم يكتفوا بالْقُعُودِ عَنِ الْجِهَادِ، وخُذلانِ أهلِ الإيمانِ أحوجَ ما يكونون لنُصْرَتِهم، حتى عدَّوا الجبنَ والخيانةَ مغنمًا، وعدَّوا القتلَ في سَبيلِ اللَّهِ تَعَالَى مغرمًا، بل وخسرانًا مبينًا.

وما قالوا ذلك إلا لانتكاس فطرهم، وانطماس بصائرهم، وضعف عقولهم، وعدم إيمانهم.

وأين حالهم ممن يمني بالشهادة نفسه، ويسعى إليها جهده، ويسلك إليها كل سبيل؟

هَذَا حَرَامُ بْنُ مِلْحَانَ، لَمَّا طُعِنَ يَوْمَ بِئْرِ مَعُونَةَ، قَالَ: بِالدَّمِ هَكَذَا فَنَضَحَهُ عَلَى وَجْهِهِ وَرَأْسِهِ، ثُمَّ قَالَ: فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ".[2]

وَهَذَا أَنَسُ بْنُ النَّضْرِ لما انْكَشَفَ المسْلِمُونَ، يَوْمَ أُحُدٍ قَالَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعْتَذِرُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ يَعْنِي أَصْحَابَهُ وَأَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ هَؤُلاَءِ»، يَعْنِي الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ تَقَدَّمَ فَاسْتَقْبَلَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ، فَقَالَ: «يَا سَعْدُ بْنَ مُعَاذٍ، الجَنَّةَ وَرَبِّ النَّضْرِ إِنِّي أَجِدُ رِيحَهَا مِنْ دُونِ أُحُدٍ»، فَوَجَدُوا بِهِ بِضْعًا وَثَمَانِينَ ضَرْبَةً بِالسَّيْفِ أَوْ طَعْنَةً بِرُمْحٍ، أَوْ رَمْيَةً بِسَهْمٍ وَوَجَدُوهُ قَدْ قُتِلَ وَقَدْ مَثَّلَ بِهِ الْمُشْرِكُونَ، فَمَا عَرَفَهُ أَحَدٌ إِلَّا أُخْتُهُ بِبَنَانِهِ.[3]

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآيَة/ ١٦٨

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ المَغَازِي، بَابُ غَزْوَةِ الرَّجِيعِ، وَرِعْلٍ، وَذَكْوَانَ، وَبِئْرِ مَعُونَةَ، وَحَدِيثِ عَضَلٍ، وَالقَارَةِ، وَعَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ، وَخُبَيْبٍ وَأَصْحَابِهِ، حديث رقم: ٤٠٩٢، ومسلم- كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ ثُبُوتِ الْجَنَّةِ لِلشَّهِيدِ، حديث رقم: ٦٧٧

٣ - رواه البخاري- كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿مِنَ المُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ، فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣]، حديث رقم: ٢٨٠٥، ومسلم- كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ ثُبُوتِ الْجَنَّةِ لِلشَّهِيدِ، حديث رقم: ١٨٩٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وهذا أَبُو مِحْجَنٍ الثقفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حيل بينه وبين القتال يوم القادسية فقال متحسرًا:

كَفَى حُزْنًا أَنْ تُردَي الخيلُ بالقنا

***** وأُترَك مَشْدُودًا عَلَيَّ وَثَاقِيَا

إِذَا قُمْتُ عَنَّانِي الحَدِيدُ وغُلِّقَتْ

***** مَصَارِعُ دُونِي قد تَصُمُ الْمُنَادِيَا

فلما أذن له في القتال وَثَبَ عَلَى فَرَسٍ لِسَعْدٍ يُقَالُ لَهَا الْبَلْقَاءُ، ثُمَّ أَخَذَ الرُّمْحَ، ثُمَّ انْطَلَقَ فقاتل قتالا عظيما، وكان يكبر ويحمل فلا يقف بين يديه أحد، فَجَعَلَ لا يَحْمِلُ فِي نَاحِيَةٍ إِلا هَزَمَهُمْ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَقُولُونَ: هَذَا مَلَكٌ.

فأين مَنْ يرى السلامةَ مغنمًا، وإن كان فيها خيانة الدين، ممن يرى الشهادةَ شرفًا ومَكْرُمَةً؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يا حَسْرَةَ مَنْ تخلفَ عَنْ سَبِيلِهِمْ، وتَنَكَّبَ طريقَهُمْ!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.[1]

تأمل كيف يدفع اللَّهُ تَعَالَى توهمًا هو عند أكثر النَّاسِ مِنَ الْمُسَلَّمَاتِ البديهية التي لا تقبلُ النقاشَ، أنَّ كُلَ مَنْ قُتِلَ صار في عدادِ الأمواتِ.

وليس الأمر كذلك فإنَّ مَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَيٌّ عِنْدَ رَبِّهِ حياةً أكملُ من حَيَاتِنَا، يُرْزَقُ رِزقًا ليس كأَرْزَاقِنَا.

لذلك نفَى اللَّهُ تَعَالَى ذلك التَّوَهُمَ أبلغَ نفيٍ، ودفعَ ذلك الحُسْبَانَ أشدَ دفعٍ، ثم أكدَّ ذلك النفيَّ بنونِ التوكيدِ فقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا.....﴾.

ثم زاد الكلام تأكيدًا فأتى بـ (بل) التي تفيد الإضرابَ فهناك ما هو أكبر من ذلك وأعظم شأنًا من مجردِ نفى الموت عن الشهداء، فأخبر أنهم أَحْيَاءٌ، وليست حياتهم كحياة غيرهم من الأحياء، بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ في دار كرامته.

وحتى لا يظنَّ ظَانٌّ أنَّ حياةَ الشهداءِ مجازيةٌ، وأنها ليست حياةً حقيقيةً، أخبرَ اللَّهُ تَعَالَى أنهم يُرْزَقُونَ.

نعم يُرْزَقُونَ ليس كأرزاق أهل الدنيا، يأكلون من ثمار الجنة، ويشربون من أنهارها، ويستظلون بظلالها، ويتنعمون بملَذَّاتِها، ويسكنون حواصلَ طيرٍ خضرٍ تسرحُ بهم في الجَنَّةِ.

عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ (ابْنَ مَسْعُودٍ) عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾، قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: «أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ، ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ، فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً»، فَقَالَ: «هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟ قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦٩

لَـنْ يُتْرَكُـوا مِـنْ أَنْ يُسْـأَلُوا، قَـالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيـدُ أَنْ تَـرُدَّ أَرْوَاحَنَـا فِي أَجْسَـادِنَا حَـتَّى نُقْتَـلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى، فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا».[1]

فما أسعدَ الشهداءِ بحياتهم، وما أعظمَ فوزهمِ بقربهمِ من ربهِمِ!

وَيَا حَسْرَةَ مَنْ تخلفَ عَنْ سَبِيلِهِمْ، وتَنَكَّبَ طريقَهُمْ!

١ – رواه مسلم– كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، حديث رقم: ١٨٨٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فرحٌ لا يُقارنُ بأي فرحٍ في الدنيا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِمْ مِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٧٠) يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[١]

تأمل قول الله تعالى عن الشهداء وقد عاينوا ما اعَدَّهُ اللهُ لهم من الرزقِ والنعيمِ في الجنَّةِ قال: ﴿فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ...﴾، بمثل هذا يكون الفرح، بثواب الطاعات، ورفعة الدرجات، والنعيم المقيم في الجنة.

وحق لهم أن يفرحوا، وقد رضي الله تعالى عنهم، وأنزلهم خير المنازل، وأكرمهم بخير كرامة.

وهو فرح لا يقارن بأي فرح في الدنيا، فلو مات أحد فرحًا لماتوا فرحًا!

أما ما يتوهمه أهل الشهوات من الفرح بالملذات في الدنيا فهو من الأشر والبطر، وليس من الفرح في شيء، وما يتوهمونه فرحًا سينقلب يوم القيامة عليهم حسرة وندامة، حتى يعذبوا به؛ ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ (٧٥) ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾.[٢]

وَمن أسبابِ فرحهم أنهم يَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ تركوهم في الدنيا على سبيلهم ولَمْ يَلْحَقُوا بهم، أن مآلهم سيكون كمآلاهم، وأنهم سيدخلون مدخلهم، وويفوزون بمثل كرامتهم، فيقول أحدهم لله تعالى: "فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي". ليبذلوا أرواحهم لله تعالى فإن الثمنَ عظيمٌ.

فانظر إلى شرف نفوسهم، وصفاءِ قلوبهم، ونقاءِ أرواحهم، يودون أن يعلم المؤمنون بمكانتهم، وبما أعده الله لهم من الكرامة، ليجدوا في طلب الشهادة، ويجتهدوا في نصرة دين الله تعالى؛: عَنْ جَابِرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: لَمَّا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ حَرَامٍ يَوْمَ أُحُدٍ، لَقِيَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «يَا جَابِرُ، أَلَا أُخْبِرُكَ مَا قَالَ اللَّهُ لِأَبِيكَ؟» وَقَالَ: يَحْيَى فِي حَدِيثِهِ، فَقَالَ: «يَا جَابِرُ، مَا لِي أَرَاكَ مُنْكَسِرًا؟» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، اسْتُشْهِدَ

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٧٠، ١٧١

٢ - سُورَةُ غَافِرٍ: الْآيَة/ ٧٥، ٧٦

أَبِي، وَتَرَكَ عِيَالًا وَدَيْنًا "، قَالَ: «أَفَلَا أُبَشِّرُكَ، بِمَا لَقِيَ اللَّهُ بِهِ أَبَاكَ؟» ، قَالَ: بَلَى: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: " مَا كَلَّمَ اللَّهُ أَحَدًا قَطُّ إِلَّا مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَكَلَّمَ أَبَاكَ كِفَاحًا، فَقَالَ: يَا عَبْدِي، تَمَنَّ عَلَيَّ أُعْطِكَ، قَالَ: يَا رَبِّ تُحْيِينِي، فَأُقْتَلُ فِيكَ ثَانِيَةً، فَقَالَ الرَّبُّ سُبْحَانَهُ: إِنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنَّهُمْ إِلَيْهَا لَا يَرْجِعُونَ، قَالَ: يَا رَبِّ، فَأَبْلِغْ مَنْ وَرَائِي، قَالَ: فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾.[1]

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٦٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حياةُ القلوبِ في الإيمانِ، والعيشِ في ظِلَالِ القرآنِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.[1]

تأملْ ثناءَ اللَّهِ تَعَالَى على المؤمنين بقوله: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ.....﴾. لتعلم أنه لا تتحقق العبودية لله تعالى إلا بالاستجابة له تعالى ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في العسر واليسر، والمنشط والمكره؛ عَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَعَلَى أَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَعَلَى أَنْ لَا نُنَازِعَ الْأَمْرَ أَهْلَهُ، وَعَلَى أَنْ نَقُولَ بِالْحَقِّ أَيْنَمَا كُنَّا، لَا نَخَافُ فِي اللهِ لَوْمَةَ لَائِمٍ».[2]

بل الاستجابة لله تعالى وللرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَببُ الحياة الحقيقية؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.[3]

وَعَنْ أَبِي سَعِيدِ بْنِ المعَلَّى، قَالَ: كُنْتُ أُصَلِّي فِي المسْجِدِ، فَدَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ أُجِبْهُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي، فَقَالَ: "أَلَمْ يَقُلِ اللَّهُ: ﴿اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].[4]

فحياةُ القلوبِ في الإيمانِ، والعيشِ في ظِلَالِ القرآن، وأَفْيَاءِ السنةِ المطهرة، ولا يتحققُ ذلك إلا بالاستجابةِ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٧٢

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الأَحْكَامِ، بَابٌ: كَيْفَ يُبَايِعُ الإِمَامُ النَّاسَ، حديث رقم: ٧١٩٩، مسلم- كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ وُجُوبِ طَاعَةِ الْأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةٍ، وَتَحْرِيمِهَا فِي الْمَعْصِيَةِ، حديث رقم: ١٧٠٩

٣ - سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الْآيَة/ ٢٤

٤ - رواه البخاري- كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ المَرْءِ وَقَلْبِهِ، وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٤]، حديث رقم: ٤٦٤٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأولى من قول القائل:

ففز بعلم تعش حيًّا به أبدًا

***** الناس موتى وأهل العلم أحياء

قَولُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا﴾.[1]

ولا تتحقق الاستجابة فِي حالٍ دونَ حالٍ، بل لابد أن تكون في كلِ حالٍ، فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ، وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ.

١ – سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٢٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثقةً في موعودِ اللهِ وتوكلًا عليه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى عن المؤمنين: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾، بعد حكاية تهديدِ النَّاسِ لهم، ومحاولة إرهابهم، وبث الرعب في نفوسهم!

قِيلَ لَهُمُ: إِنَّ قريشًا قَدْ أَجْمَعُوا السَّيْرَ إِلَيْكم لِيَسْتَأْصِلُوا بَقِيَّتَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ، فما أثنى لهم عزمًا، وما وهنت لهم قوةٌ، ولا لانت لهم شكيمة، بل زَادَهُمْ ذلك إِيمَانًا، ثقةً في موعود الله وتوكلًا عليه.

وكذلك يفعل الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب، يخوض صاحبه غمرات الموت مبتسمًا، ويرى النصر قدرًا مقدورًا، وكأنه ينظر إلى الغيب من ستر رقيق؛ لأنَّ اللهَ وعدَ، ووعدُ الله لا يتخلفُ.

وما عسى أن يصنع أعداء الإسلام ولو جَاءُوا بقَضِّهم وقَضِيضهم، وقد وعدنا الله تعالى إحدى الحسنيين، النصر أو الشهادة.

فاشدُدْ يَدْيكَ بحَبلِ الدِّينِ مُعتَصِمًا

***** فإنَّهُ الرُّكْنُ إنْ خانَتْكَ أركانُ

مَنْ يَتَّقِ الله يُحْمَد في عَواقِبِه

***** وَيكفِهِ شَرَّ مَنْ عزُّوا ومَنْ هانوا

﴿وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾؛ لأن من كان الله معه كانت معه القوة التي لا تُقْهَرُ، والفئةُ التي لا تُغْلَبُ؛ فإن وجدت الله وجدت كل شيءٍ، وإن فاتك الله فاتك كل شيءٍ.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٧٣

وقد أحسن القائل:

لكل شئ من فقده عِوضٌ

***** وليس لفقد اللهِ مِنْ عِوض

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بُشْرَى لِمَنْ نَبَذَ كُلَ عُرْوةٍ واعْتَصَمَ بِحَبْلِ اللهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.[1]

تأملْ قولَ اللَّهِ تَعَالَى عن المؤمنين: ﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ﴾، بعد قولهم: ﴿حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾!

حين تدلهم الخطوب، وتشتد الكروب، وتضيق الأمور، وتستحكم الأزمات، تعظم الرغبة فيما عند الله تعالى، فـ ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾.[2]

واحذر أن تركن إلى قوتك، أو تثق بقدرتك، أو تغترَّ بعقلك، فالمخذول من وكله الله إلى نفسه، والمغبون من ترك سفينة النجاة ظنًّا منه إنَّ جبلًا سيعصمه من الماء؛ ﴿لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلا مَنْ رَحِمَ﴾.[3]

لما خرج فرعون وجيشه في إثر بني إسرائيل، فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ حتى تَرَاءَى الْجَمْعَانِ، وضاق الخناق بني إسرائيل، فرأوا فرعون وجنده، يستطير الشرر من سيوفهم، وترقص المنايا فوق رماحهم، وانقطع منهم كل رجاءٍ حتى ﴿قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.[4]

فأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى ﴿أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾.

وإذا العناية لا حظتك عيونها

***** نم فالمخاوف كلهنّ أمان

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٧٤

٢ - سُورَةُ النَّجْمِ: الْآيَة/ ٥٨

٣ - سُورَةُ هُودٍ: الآية/ ٤٣

٤ - سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: الآية/ ٦١، ٦٢

ثم انقشع الخوف، وحلَّ الأمنُ، وانكشف الكرب، وجاء الفرجُ؛ ﴿وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ * وَأَنْجَيْنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجْمَعِينَ * ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾.[1]

﴿فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ﴾.

بُشْرَى لِمَنْ نَبَذَ كُلَ عُرْوةٍ واعْتَصَمَ بِحَبْلِ اللهِ، وتبرأ من حوله وقوته، وركن بِكُلِّيَتِهِ إلى اللهِ.

١ – سُورَةُ الشُّعَرَاءِ: الآية/ ٦٤– ٦٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مقاصدُ الشيطانِ لإغْوَاءِ الإنسَانِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾، لتعلم حيلَ الشيطانِ في إغواء بني آدم؛ ولتعلم خطواته التي حذرنا الله تعالى من اتباعها.

فمن أعظمِ مقاصدِ الشيطانِ لإغْوَاءِ بَنِي آدَمَ الْكُفْرُ باللَّهِ تَعَالَى عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ، فَإِنْ تَمَّ لهُ مُرَادهُ بذَلِكَ قَرَّتْ عَيْنُهُ.

وَإِنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ، أمره بالْبِدْعَةِ وَزَيَّنَ لَهُ فِعْلَهَا بِكُلِّ طَرِيقٍ، فَإِنْ تَمَّ لهُ مُرَادهُ كَانَ ذَلِكَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ الْمَعْصِيَةِ، وَإِنْ كَانَتْ كَبِيرَةً.

فَإِنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ، زيَّنَ لَهُ الِاسْتِهَانَةَ بِالْكَبَائِرِ، وَفتحَ له بابَ الْأَمْنِ منْ مكرِ الله على مصراعيه.

فَإِنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ، هَوَّنَ عَلَيْهِ الصَّغَائِرَ، وَقَالَ لَهُ: إِنَّهَا مُكَفِّرَةٌ بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ.

فَإِنْ عَجَزَ نَقَلَهُ إِلَى فُضُولِ الْمُبَاحَاتِ وَالتَّوَسُّعِ فِيهَا، فيظلُ حائمًا حولها حتى يقع في الحرام.

فَإِنْ أَعْجَزَتْهُ هَذِهِ الْحِيلُ أَلْقَى الخَوفَ في قلوبِ المؤمِنِينَ الخوفَ مَنْ أَوْلِيَائِهِ، وَيُوهِمُهُمْ أَنَّهُمْ ذَوُو بَأْسٍ وَذَوُو شِدَّةٍ؛ ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾، أَيْ: يُخَوِّفُكُمْ أَوْلِيَاءَهُ.

فَإِنْ تَمَّ لهُ مُرَادهُ ضعف إيمانُ العبدِ وكانَ أقربَ من يكونُ من الشرك.

فَإِنْ عَجَزَ عَنْ ذَلِكَ، أَلْقَى الحزنَ في قلوبِ المؤمِنِينَ، وقد لا يجدُ المؤمن لذلك الحزن سببًا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.[2]

فَإِنْ تَمَّ لهُ مُرَادهُ كان ذلك سببًا في التفريطِ في كثيرِ من الطاعَاتِ، وفي قطعِ كثيرِ من الصِّلاتِ.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٧٥

٢ - سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ: الآية/ ١٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

كم على شفير جهنم من حزين حائر!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾، لتعلم أن الله تعالى غنيٌّ عن العالمين، فلو كفر الناس جميعًا، فلَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا؛ كمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.[2]

وما نقص ذلك من ملك الله شَيْئًا؛ كما قَالَ تَعَالَى: «يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا».[3]

وهل الإنس والجن إلا صفحة من صفحات هذا الكون العظيم الذي لا يفترُ لحظةً عن تسبيح الله، ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾.[4]

ولا يَكَلُّ برهةً عن الصلاةِ لَهُ تباركَ وتعَالَى؛ كمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.[5]

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ﴾.[6]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٧٦

٢ – سُورَةُ إِبْرَاهِيمَ: الآية/ ٨

٣ – رواه مسلم– كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، حديث رقم: ٢٥٧٧

٤ – سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: الآية/ ٢٠

٥ – سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الآية/ ٤٤

٦ – سُورَةُ النُّورِ: الآية/ ٤١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَأَنَّى لَهُم أَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا؟ ﴿وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾.[1]

والكلُ يسارعُ في مرضَاتِهِ، يرجو رحمتَهُ ويخشى عذابَهُ؛ ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾.[2]

ولم يشمخْ بأنفِهِ إلا ذلك الكنودُ؛ ﴿إِنَّ الإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ﴾.[3]

ولم يغتر بربه إلا ذلك الجهولُ؛ ﴿وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولا﴾.[4]

ولو يعلم ذلك البائس أنه لا يضر إلا نفسه؟ ﴿مَنْ كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ﴾.[5]

وأنه يسعى بظلفه إلى حتفه؟ ﴿وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾.[6]

فهل من تائب قبل الممات؟ ومستعتب قبل الفوات؟

وساعٍ بجهده في الخلاص، قبل أن ينادي: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا﴾. [الْمُؤْمِنُونَ: ٩٩]، ولَاتَ حِينَ مَنَاصٍ؟

فكم على شفير جهنم من حزين حائر! وكم هنالك من نادم خاسر!

أمانيهم فيها الهلاك، وما لهم من أسر جهنم فكاك: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[7]

---

١ - سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: الآية/ ١٩

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١١٦

٣ - سُورَةُ الْعَادِيَاتِ: الآية/ ٦

٤ - سُورَةُ الأَحْزَابِ: الآية/ ٧٢

٥ - سُورَةُ الروم: الآية/ ٤٤

٦ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الآية/ ١٥

٧ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٢٧

لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[1]

عجيب شأن من يرضى بالكفر بديلًا عن الإيمان، ويؤثر الضلال على الهدى، ويسعى إليه سعيًا حثيثًا، وينافح عنه أشدَّ المنافحةِ، ويدافع عنه أعظمَ دفاعٍ، حتى يبذل إيمانه ثمنًا للكفر، ويرى النسبةَ للإسلام عارًا، والدعوة إليه رجعيةً، والالتزامَ بأحكامه تخلفًا، ويهش ويبش كلما طعن في الإسلام طاعنٌ، أو غمزه بنقيصة غامز أو لامز!

ولهؤلاء الذين تتمعر وجوهم لرؤية أهل الإيمان، وتضيق صدورهم لسماعهم يتحدثون عن دين الله، وتشمئز قلوبهم إذا ذُكرَ الله تعالى، ويتأففون لذكرِ رسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نقول: إنكم لَنْ تَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا.

حاول كثير سواكم عبر التاريخ أن يطفئوا نور الله بأفواههم، فضل سعيهم، وخاب قصدهم، وأتم الله نوره، وأكمل سبحانه وتعالى دينه.

نعم حاول أعداء الإسلام جاهدين أن يئدوا الإسلام في مهده، وألا يخرج عن حدود مكة، وسعوا لتحقيق ذلك جاهدين، فأشرقت شمس الإسلام على الأرض، وعمَّ نوره أرجاءها، فأكمل الله تعالى دينه، وأتم على أهل الإيمان نعمته؛ ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا﴾.[2]

وبلغ الإسلام ما بلغ الليلُ والنهارُ، وسيأتي ما هم أعظم من ذلك حين يدخل الإسلام كل بيت شاء من شاء وأبى من أبى، إنه وعدُ الله في كتابه؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾.[3]

وعلى لسان رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذي لا ينطق عن الهوى؛ قالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٧٧

٢ – سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَة/ ٣

٣ – سُورَةُ الفتحِ: الْآيَة/ ٢٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ».[1]

هذا الدينُ شأنه عجيبٌ، فهو كالسيل يصادر ما يعترضه، وهو كالنور يبدد حجب الظلمات، بل هو النور الذي يملء النفوس، والعاقبة دائمًا لمن تمسك به؛ ﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.[2]

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٦٩٥٧، والحاكم- كِتَابُ الْفِتَنِ وَالْمَلَاحِمِ، حديث رقم: ٨٣٢٦، والبيهقي في السنن الكبرى- كِتَابُ السِّيَرِ، جِمَاعُ أَبْوَابِ السِّيَرِ، بَابُ إِظْهَارِ دِينِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْأَدْيَانِ، حديث رقم: ١٨٦١٩، والطحاوي في شرح مشكل الآثار- حديث رقم: ٦١٥٥، بسند صحيح

٢ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٢٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

اسْتَدْرَاجَهُم بصُنُوفِ النِّعَمِ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾.[1]

من أعظم أسباب ضلال الكفار، ومن أظهر الصوارف لهم عن التفكر في عاقبة أمرهم، ما هم فيه من رغد العيش، وعدم المعاجلة بالعقوبة.

فيتعامي الواحد منهم عما هو فيه من الضلال، لأنَّه لم ير أثرًا لمغبة كفره، بل ربما يكون أرغد عيشًا من كثير من المسلمين.

فيتوهم أن بين رغدِ العيش ورضى الرب تلازمًا، وأن سعة الرزق في الدنيا علامة على السعادة الأبدية في الآخرة.

وهي شبهة ألقاها الشيطان في قلوب الكفار على مَرِّ الدهورِ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى عنهم: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾. [سَبَأٍ: ٣٥]، ظنوا أنَّ كثرةَ الأموالِ والأولادِ علةُ عدمِ العذابِ.

وَقَالَ تَعَالَى إِخْبَارًا عَنْ ذلكَ الرَّجُلِ الذي كفر بالله تعالى وأنكر البعث والنشور: ﴿وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا (٣٥) وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لأجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾. [الْكَهْفِ: ٣٥، ٣٦]، ظنًّا منه أن بين رغدِ العيش والسعادة الأخروية تلازمًا.

وقد حذرهم الله تعالى من الاغترار بإمهاله لهم، وإغداق الرزق عليهم فقال: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ﴾.[2]

وبين سبحانه وتعالى علة ذلك الإِمْلَاءِ، وهو أنهم أَعْرَضُوا عَنْ الإيمانِ بالله وَجَعَلُوهُ دينَ الله تعالى وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ فَفَتَحَ عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ الرِّزْقِ واسْتَدْرَاجَهُم بصنوفِ النِّعَمِ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا؛ كما

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٧٨

٢ – سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ: الآية/ ٥٥، ٥٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ﴾.[1]

فاحذر يا عبد الله أن تسلك سبيلهم، أو تعتقد رأيهم، فإنهم وردوا موارد الهلاك!

وكن على حذرٍ من مكرِ اللهِ؛ ﴿فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾.[2]

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مَنْ وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَلَمْ يَرَ أَنَّهُ يَمْكُرُ بِهِ، فَلَا رَأْيَ لَهُ.[3]

١ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٤٤

٢ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٩٩

٣ - رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي التفسير (٤/ ١٢٩١)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

على قدر الأحداث يكون التمحيص

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.[1]

اقضت حكمة الله تعالى أن يبتلي عباده بصنوف البلاء ليمحصهم، فيتميز الخبيث من الطيب، ويظهر الصادق من الكاذب، ويُفْتَضَح الدعيُّ الزنيم، وينكشف حالُ الخبِّ اللئيمِ.

وعلى قدر الأحداث وعظمها يكون التمييز والتمحيص، فلا يثبت في الفتن إلا من عصمه الله من السقوط بين أنيابها، وتحت مخالبها.

ولا يثبت في تلك الزلازل التي تغربل الناس غربلةً، وتلك العواصف التي تجتاحهم اجتياحًا إلا من أسس بنيان إيمانه على تقوى من الله ورضوان، وجعل الدنيا وراءه ظهريًّا، فلم ينافس أهلها عليها، ومن نازعه فيها ألقاها إليه، وكان فيها كأنه غريب أو عابر سبيل.

وجعل الآخرة أكثر همه، ومبلغ علمه، وتعلق بها قلبه، تعلقَ الغريبِ بوطنه، والرضيعِ بثدي أمه.

وجعلَ الخوفَ شِعَارَهُ، والخمولَ دِثَارَهُ، والموتَ في سبيل الله طِلْبَتَهُ، والجنَّةَ مُنْيَتَهُ، ورضوانَ اللهِ غايته.

وهو مع ذلك يلهج بالدعاء ليل نهار أن يجنبه الله الفتن ما ظهر منها وما بطن، وألا يجعله فتنة للذين آمنوا، أو عبرة للمعتبرين.

وأن يتبرأَ من حوله وقوته، وينزعَ رداء الثقة عن نفسه، نزعَ الحيةِ جلدَها، ويطرحَ نفسَه على عتبة العبودية، ويظهرَ الافتقار لرب البرية، ليعصمه من العبودية لغيره، ومن الافتقار إلا إليه، ومن الذل إلا على بابه، ومن الخوف إلا منه، ومن الرجاء إلا فيما عنده.

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٧٩

www.alukah.net

وأن يفر من مواطن الفتن، فراره من الأسد؛ كَانَ الْفُضَيْلُ بْنُ عِيَاضٍ رحمه الله يقول: اللهم لا تبتلنا فإنك إذا بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

القَدَرُ سِرُّ اللهِ فِي خَلْقِهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَبِي مِنْ رُسُلِهِ مَنْ يَشَاءُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾.[1]

تَأَمَّلْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ﴾، وتعجبْ من حالِ كثيرٍ ممن ينتسبون للإسلامِ، يتسألُ أحدهم مستنكرًا: كيف يعطي الله تعالى هذا على ضعفِ عقله ويحرمُ هذا وهو أعقل منه؟

وكيف يهدي الله تعالى هذا وهو كيت وكيت، يضل هذا وهو كذا وكذا؟

وبعضهم يتجرأ فيقدح في حكمة الملك سبحانه وتعالى، ونسمع من ذلك ما يعتصر له قلبُ المؤمن حزنًا.

والقدر سرُّ اللهِ تعالى في خلقه، لم يطلعْ عليه ملكًا مقربًا ولا نبيًّا مرسلًا، يُعطِي مَنْ يَشَاءُ ويمنعُ مَنْ يَشَاءُ، لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَى، وَلَا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعَ، لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ؛ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾.[2]

يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلًا، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي عَدْلًا، لَا رَادَّ لأَمْرِهِ، وَلَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، مَا شَاءَ كَانَ، وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [فَاطِرٍ: ٨]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.[3]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٧٩

٢ – سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: الآية/ ٢٣

٣ – سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٣٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَمَـــنْ يَشَـــأْ وَفَّقَـــهُ بِفَضْـــلِهِ ***** وَمَـــنْ يَشَـــأْ أَضَـــلَّهُ بِعَدْلِـــهِ

فَمِـــنْهُمُ الشَّـــقِيُّ وَالسَّـــعِيدُ ***** وَذَا مُقَـــرَّبٌ وَذَا طَرِيـــدُ

لِحِكْمَـــةٍ بَالِغَـــةٍ قَضَـــاهَا ***** يَسْـــتَوْجِبُ الْحَمْـــدَ عَلَـــى اقْتِضَـــاهَا

ولا يتحقق لإحدٍ إيمانٌ، ولو كان أكثرَ الناسِ اجتهادًا، ولا يُقبَلُ منه عملٌ ولو أنفقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا إلا بالإيمانِ بالقدرِ؛ عَنِ ابْنِ الدَّيْلَمِيِّ، قَالَ: أَتَيْتُ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ، فَقُلْتُ: لَهُ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ، فَحَدِّثْنِي بِشَيْءٍ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَهُ مِنْ قَلْبِي، قَالَ: «لَوْ أَنَّ اللَّهَ عَذَّبَ أَهْلَ سَمَاوَاتِهِ وَأَهْلَ أَرْضِهِ عَذَّبَهُمْ وَهُوَ غَيْرُ ظَالِمٍ لَهُمْ، وَلَوْ رَحِمَهُمْ كَانَتْ رَحْمَتُهُ خَيْرًا لَهُمْ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَوْ أَنْفَقْتَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَا قَبِلَهُ اللَّهُ مِنْكَ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ، وَتَعْلَمَ أَنَّ مَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، وَأَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَلَوْ مُتَّ عَلَى غَيْرِ هَذَا لَدَخَلْتَ النَّارَ»، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ حُذَيْفَةَ بْنَ الْيَمَانِ، فَقَالَ مِثْلَ ذَلِكَ، قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَحَدَّثَنِي عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِثْلَ ذَلِكَ.[1]

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢١٥٨٩، وأبو داود- كِتَاب السُّنَّةِ، بَابٌ فِي الْقَدَرِ، حديث رقم: ٤٦٩٩، وابن ماجه- بَابٌ فِي الْقَدَرِ، حديث رقم: ٧٧، وابن حبان- كِتَابُ الرَّقَائِقِ، بَابُ الْوَرَعِ وَالتَّوَكُّلِ، حديث رقم: ٧٢٧، والطبراني في الكبير- حديث رقم: ٤٩٤٠، بسند صحيح

فليحذرْ أربابُ الأَمْوالِ إِذَا ضَنُّوا بِهَا مِنْ صَوْلَةِ الْمَالِ غَدًا!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.[1]

تأمل قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَهُمْ﴾، يظن كثير من الناس أن البخل بالمالِ حفظٌ له من الضياعِ، ولأن بذله في وجوه الخيرِ إتلاف له، وإن معرفةَ حقِ اللهِ تعالى فيه إسرافٌ وتبذيرٌ، ونسي هؤلاء أو تناسوا أنَّ لا تُنقصه الصدقات وأنَّهُ يزكوا على الإنفاقِ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ».[2]

وأنَّ أجرَ المتصدق لا يزال في نماءٍ؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾.[3]

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ».[4]

ذلك الخير الذي في بذله أما الشر في البخلِ بِهِ فإنهم سَيُطَوَّقُونَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أي: يُجْعَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ طَوْقًا مِنْ نَارٍ، وهذا لون واحدٌ من ألوان العذاب بالمال إذا منع صاحبه زكاته.

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٨٠

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٨٠٣١، والترمذي– أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ، حديث رقم: ٢٣٢٥، عَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ، بسند صحيح

٣ – سُورَةُ الرُّومِ: الْآيَة/ ٣٩

٤ – رواه البخاري– كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ الصَّدَقَةِ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ لِقَوْلِهِ: ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ، وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ، لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧]، حديث رقم: ١٤١٠، ومسلم– كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا، حديث رقم: ١٠١٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكفى بذلك عذابًا، أمَّا العلة في أنه يطوقُ به فلأنَّهُ كان عبدًا لماله في الدنيا فيأتى في الآخرة في أحقرِ صورةٍ من صورِ العبوديةِ، في صورةِ العبدِ الذي وُضِعَ الغُلُّ في عنقهِ، والجزاءُ من جنس العملِ.

ومن ألوان العذاب بالمالِ يَوْمَ القِيَامَةِ أن ينقلبَ المالُ شُجَاعًا أَقْرَعَ يلتهم صَاحِبَهُ التهامًا؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَكُونُ كَنْزُ أَحَدِكُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ شُجَاعًا أَقْرَعَ، يَفِرُّ مِنْهُ صَاحِبُهُ، فَيَطْلُبُهُ وَيَقُولُ: أَنَا كَنْزُكَ، قَالَ: وَاللَّهِ لَنْ يَزَالَ يَطْلُبُهُ، حَتَّى يَبْسُطَ يَدَهُ فَيُلْقِمَهَا فَاهُ».[1]

فليحذر أرباب الأموال إذا ضنوا بها من صولة المال غدًا!

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الحِيَلِ، بَابٌ فِي الزَّكَاةِ وَأَنْ لاَ يُفَرَّقَ بَيْنَ مُجْتَمِعٍ، وَلاَ يُجْمَعَ بَيْنَ مُتَفَرِّقٍ، خَشْيَةَ الصَّدَقَةِ، حديث رقم: ٦٩٥٧

لو ذابَ أحدٌ حياءً لذابوا من الله تعالى حياءً!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾.[1]

تأمل ذلك الوعيد الشديد الذي تنخلع له القلوب، وتطيش منه العقول، وتزيغ من هوله الأبصار، وترتعد منه الفرائص، إنه وعيد الملك الجبار، المنتقم القهار، لمن تجرأ على ذات الله تعالى!

وإذا كان بعض الناس إذا قال كلمة سوء في حق غيره فبلغته يكاد المسيء يذوب حياءً لما نقل عنه، ويود من قرارة نفسه لو أن الأرض قد ابتلعته، حياءً وخجلًا ممن بلغته عنه قالة السوء، وهو مثله مخلوق ضعيف، فكيف بالخالق العظيم، والرب الكريم!

فكيف بهؤلاء إذا وقفوا بين يدي الله تبارك وتعالى يوم القيامة، فقال لهم: أنتم الذين قلتم: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾؟

فياله من موقف، لو مات أحدٌ من الناس خجلًا لماتوا خجلًا، ولو ذابَ أحدٌ حياءً لذابوا من الله تعالى حياءً؛ كما يذوبُ الملحُ في الماءِ؛ ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ وَلا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾.[2]

فكيف بهم وقد جمعوا من الخطايا العظام، والبلايا الطوام، ما تكاد السماوات يتفطرن منه، وتخر الجبال هدًا، فقد قتلوا أَنْبِيَاءَ اللهِ عليهم السلام بِغَيْرِ حَقٍّ، ﴿وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.

فجمعوا بين التعدي على الرسل عليهم السلام، والتعدي على الله تعالى، فلا أسوءمنهم يوم القيامة حالًا، ولا أقبح منهم في النار مآلًا؛ فيالبؤسهم ويالشقائهم إذا ألقوا في النار وقيل لهم: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾!

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٨٠

٢ – سورة النساء: الآية/ ٤٢

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لا يَلْتئِمُ ما جَرَحَ اللِّسَانُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ (١٨١) ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾.[١]

تَأَملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، لتعلم أن الله تعالى لا يعذب إلا من يستحقُ العذاب، ولا يهلك على الله تعالى إلا هالك.

وتأمل ذكر الأيدي هنا: ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، وإنما كان جرمهم الذي أجرموه كلامًا تكلموا به؛ لأنَّ من الكلام ما يبلغ من القبح والشدة مبلغ البطش بالأيدي؛ لأنهم رموا بذلك القول رمي الجحارة بالأيدي.

وجرحُ اللسانِ أعظمُ خَطرًا وأشدُّ أثرًا من جرحِ السيف.

وقد قيل: (والقَوْلُ يَنْفُذُ ما لا تَنْفُذُ الإبَرُ).

وقيل:

جِراحَاتُ السّنانِ لها التئامُ

***** ولا يُلْتامُ ما جَرَحَ اللِّسانُ

جرْحُ السيفِ تدْمُلُه فيبرا

***** وجُرْحُ الدَّهرِ ما جَرَحَ اللِّسانُ

فاحذر يا عبدَ اللهِ من لِسَانِكَ، فبه كفر من كفر، وبسببه هلك من هلك؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَهَلْ يُكِبُّ النَّاسَ عَلَى وُجُوهِهِمْ فِي النَّارِ، إِلَّا حَصَائِدُ أَلْسِنَتِهِمْ؟».[٢]

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٨١، ١٨٢

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٢٠١٦، والترمذي- أَبْوَابُ الْإِيمَانِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي حُرْمَةِ الصَّلَاةِ، حديث رقم: ٢٦١٦، وابن ماجه- كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ كَفِّ اللِّسَانِ فِي الْفِتْنَةِ، حديث رقم: ٣٩٧٣، بسند صحيح

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ مَا فِيهَا، يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، أَبْعَدَ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ».[1]

١ – رواه البخاري– كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ حِفْظِ اللِّسَانِ، حديث رقم: ٦٤٧٨، ومسلم– كِتَابُ الزُّهْدِ وَالرَّقَائِقِ، بَابُ التَّكَلُّمِ بِالْكَلِمَةِ يَهْوِي بِهَا فِي النَّارِ، حديث رقم: ٢٩٨٨

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أعجبُ العجبِ أَنْ يتكلمَ الكافرُ بلسانِ أهلِ الإيمانِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[1]

تأملْ قولَ اليهودِ للرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ﴿إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلا نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ﴾، يقولون هذا لرسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الذي يأتيه الوحي بالآيات البينات، ويجري الله تعالى على يديه المعجزات!

والعجبُ كلُ العجبِ أنْ يتكلمَ هؤلاء البهودُ عن عهدِ اللهِ، وهم الذين يُضْرَبُ بهم المثلُ في نقض العهود!

قطعوا كل صلة بالله تعالى، ويزعمون أن بينهم وبين الله عهدًا؛ ونسي هؤلاء أنهم قَالُوا قَوْمُ لِمُوسَى: ﴿فاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾.[2]

ويتكلمون عن الإيمان بالرسلِ وهم قتلة الأنبياء والرسلِ!

وأعجب العجب أن يتكلم الكافرُ بلسانِ أهل الإيمان، ويتشدق الفاجر بكلام الأبرار!

وكم ممن يحاربون دين الله جهارًا، يوهمون العوام من الناس أنهم حماةُ الدينِ، وحراسُ العقيدةِ، يزعم أحدهم أنه يخاف على الإسلام، ويحارب التطرف، ويعادي الإرهاب، فإذا نظرت إلى ما يدعو وجدته إلى الفسق والفجور، ويحارب السنةِ، ويطعن في سلف هذه الأمة، ويزعم أنه على الطريق القويم، والمنهج الحكيم، سلفه أولئك اليهود، وأسوته فرعون الذي قال: ﴿ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الأَرْضِ الْفَسَادَ﴾.[3]

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٨٣

٢ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٢٤

٣ - سُورَةُ غافر: الآية/ ٢٦

دولة الكفر وإن تعاظمت فإلى زوال، وإن اتسعت فإلى انهيار واضمحلال

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾.[1]

تأمل قول الله تعالى لرسوله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾، لتعلم مدى الانحطاط الذي وصل إليه كثير من البشر على طول تاريخ البشرية!

ومما يدل على مدى انحطاط أولئك المكذبين للرسل، أنهم لم يسلم منهم الرسل العظام، فقد ورد لفظ: (رُسُلٌ) نكرة للتفخيم والتعظيم والكثرة، أي: ﴿فَقَدْ كُذِّبَ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ﴾، وأي رُسُلٍ رسلٌ عظامٌ، كُذِّبَ نوحٌ وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم كثيرٌ.

ومما يدل على سفاهة عقولِ أولئك المكذبين للرسل، أنهم ما التفتوا إلى ما معهم من الدلائل الواضحات، والبراهين القاطعات على صدقهم، مع أن الرسل ﴿جَاءُوا بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾، فلم يحتكم أولئك السفهاء إلى عقلٍ ولا إلى منطقٍ، ولا إلى شرعٍ، بل صَمُّوا آذَانَهم عن سَماعِ الحقِ، وعَمُوا عن رؤيته، مع وضوحِ دلائله وظهورِ نوره، وزهوق الباطل واضمحلاله، ومع ذلك حاولوا جاهدين دحضَ الْحَقِّ وَجَادَلُوا فِيهِ بِالْبَاطِلِ، ﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [آل عمران: ١١]، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾.[2]

ومما يدل على سفاهة عقولِ أولئك المكذبين للرسل، اقتفاء أواخرهم آثار أوائلهم في الضلالِ، وسلوكِ سبيلهم في التكذيب، وانتهاجِ نهجهم في العنادِ، كأنهم تواصوا بالكفر؛ وتغافلوا عن عاقبة الذين من قبلهم، وأنهم ﴿دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾.[3]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٨٤

٢ – سُورَةُ غَافِرٍ: الْآيَة/ ٥

٣ – سُورَةُ مُحَمَّدٍ: الْآيَة/ ١٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومما يدل على سفاهة عقولِهم غفلتهم عن السنن الكونية، والنواميس الإلهية، وأن العاقبة دائمًا للمتقين، وأن النصرَ حليفُ المرسلين وأتباعهم؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾.[1]

وأن دولة الكفر وإن تعاظمت فإلى زوال، وإن اتسعت فإلى انهيار واضمحلال.

فصبرًا أيها المستضعفون فإن النصر آت، فقد لاحت راياته من بعيد، فلا تهنوا ولا تضعفوا، فأنتم أعزة في تلك القيود.

فما أشبه مسلمي الإيغور اليوم ببني إسرائيل بالأمس في الضعف والاضطهاد، وما أحراهم بوعد الله بالنصر والتمكين: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾.[2]

١ - سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ: الآية/ ٢١

٢ - سُورَةُ الْقَصَصِ: الآية/ ٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لَا تُمنِّ نَفْسَكَ بالخُلُودِ، فَإِنَّ الخُلُودَ فِي الدُّنيَا مُحَالٌ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾.[1]

تأملْ قَوَلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، سيموت الخلق جميعًا، ولا يبقى إلا الله تعالى، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾.[2]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشَيَّدَةٍ﴾.[3]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾.[4]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ﴾.[5]

فلا تمنِّ نفسك بالخلودِ، فإن الخلود في الدنيا محالٌ.

كلُّ ابنِ أُنثى، وإن طالتْ سَلامَتُه

***** يَوْمًا على آلةٍ حَدْباءَ محمولُ

وليس الشأن أن يموت من حانت منيته، وإنما الشأن على أي حالاته مات.

فيا من كتب عليه الفناء، واستحال عليه في الدنيا البقاء، أتعلم أن يومك يهدم عمرك؟

وأنك تسعى منذ ولدت سعيًا حثيثًا إلى حتفك؟

فيا عبد الله حَاسِبْ نفسكَ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبَ، وَتَزَيَّنْ لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ بين يدي الله تعالى.

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٨٥

٢ – سُورَةُ الرَّحْمَنِ: الْآيَة/ ٢٦، ٢٧

٣ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٧٨

٤ – سُورَةُ الزُّمَرِ: الآية/ ٣٠

٥ – سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: الآية/ ٣٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مَنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ لَا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.[1]

تأملْ قَوَلَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، لتعلم أن الدنيا دار عمل وليست دار جزاءٍ!

بعض الناس يفعل الخير ويحسن إلى الناس فإذا لم يجد من يشكره على معروفه، ويثني عليه لإحسانه، ندم على فعل الخير، وودَّ ألا يكون قد أصاب النَّاسَ معروفُهُ، أو بلغهم شيءٌ من إحسانِهِ، ويظهر ذلك الندم ويبالغ في التأسفِ على فعل ذلك الخيرِ، ونسي المسكين أن الدنيا دار عمل وليست دار جزاء، وغَفَلَ المغبُون عن أنَّ العملَ إنما يرادُ به وجه الله تعالى وحده، وأنَّ الأجر عند الله تعالى لا يضيعُ ولو جحده الناسُ.

مَنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ لَا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ

***** لَا يَذْهَبُ العُرْفُ بَين اللهِ والنَّاسِ

فدم على الخير ولو قطع الناس صلتك، ولو جحدوا إحسانك؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ لِي قَرَابَةً أَصِلُهُمْ وَيَقْطَعُونِي، وَأُحْسِنُ إِلَيْهِمْ وَيُسِيئُونَ إِلَيَّ، وَأَحْلُمُ عَنْهُمْ وَيَجْهَلُونَ عَلَيَّ، فَقَالَ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمُ الْمَلَّ وَلَا يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ».[2]

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٨٥

٢ - رواه مسلم- كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ صِلَةِ الرَّحِمِ وَتَحْرِيمِ قَطِيعَتِهَا، حديث رقم: ٢٥٥٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفوزُ بالجنةِ والنجاةِ مِنَ النَّارِ أعظمُ مطلوبٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ﴾، وما توحيه هذه اللفظة ﴿زُحْزِحَ﴾، من المعاني العجيبة ففيها من الثقل والشدة ما ليس في غيرها، فيقال: (فلان لا يتزحزح عن موقفه)، إذا كان ثابتًا عليه.

وفيها التكرارُ الذي يكون في وزن (فَعْلَلَ)، ك (دمدم) و (كبكب) ، إذا تكرر الفعلُ والزَّحْزَحَةُ تَكْرِيرُ الزَّحِّ، وَالزَّحُّ هُوَ الْجَذْبُ وَالْإِبْعَادُ، وهو فعلٌ يوحي بتلك الشدة، وذلك الثقل، ويتجلى هذا المعنى فيما رواه البخاري ومسلم، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ أُمَّتِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَجَعَلَتِ الدَّوَابُّ وَالْفَرَاشُ يَقَعْنَ فِيهِ، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ وَأَنْتُمْ تَقَحَّمُونَ فِيهِ».[2]

وسبب ذلك لزوم كثير ممن هذا حالهم للذنوب والمعاصي، مع علمهم أنها ربما تكون سبب ورودهم النار، ومع ذلك يلازمونها ملازمة الغريم لغريمه، ولا يريدون عنها حِولًا، حتى إن أحدهم يزحزح عنها فلا يتزحزح.

وفيها أيضًا معنى الجَذْبِ بِسُرْعَةٍ، فإنَّ الزَحَّ هو الجَذَبُ بِسُرْعَةٍ؛ لذلك يستشعر أَهْلُ الْجَنَّةِ تلك المنة فيقولون: ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾.[3]

ثم تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى بعدها: ﴿وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ﴾؛ لأن سعادة العبد لا تتم يوم القيامة بمجرد الزحزحة عن النار، فقد يزحزح عنها فينجو من لهيبها، ولكن يلفحه حرها، ويؤذيه ريحها؛

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٨٥

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ العَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ المنِيبُ، حديث رقم: ٣٤٢٦، ومسلم– كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ شَفَقَتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أُمَّتِهِ وَمُبَالَغَتِهِ فِي تَحْذِيرِهِمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ، حديث رقم: ٢٢٨٤

٣ – سُورَةُ الطُّورِ: الآية/ ٢٧

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كما يقول آخِرُ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا الجَنَّةِ وخروجًا من النار: "يَا رَبِّ، قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا، وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَاصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ".[1]

فلا تكتمل سعادتُه إلا بدخولِهِ الْجَنَّةَ، لذلك ذكر الله تعالى بعدها الْجَنَّةَ، ليبين للعبدِ عظيمَ فضلِهِ، وسابغَ إحسانِهِ، وسعةَ رحمتِهِ.

ثم تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى بعدها: ﴿فَقَدْ فَازَ﴾؛ لأن الفوز أعظم مطلوب، ومن فازَ فقد نَالَ مُبْتَغَاهُ مِنَ الْخَيْرِ.

١ - رواه البخاري- كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، حديث رقم: ٧٤٣٧، ومسلم- كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ مَعْرِفَةِ طَرِيقِ الرُّؤْيَةِ، حديث رقم: ١٨٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لو صفت الدنيا من الأكدار لما تعلقت القلوب بالجنة

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ﴾، حكم الله تعالى على الدنيا بأنها دار ابتلاء، وكتب سبحانه وتعالى على خلق جميعًا بالابتلاء؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَراتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾.[2]

وأَكَّدَ ذلك بتأكيدين بلَامِ الْقَسَمِ، وَالنُّونِ، حتى لا يَتَوَهَمَ أحدٌ أَنَّهُ بمنأى عَنِ الابتلاءِ، ومن رحمة الله تعالى أن الابتلاء يكون على قدر إيمانِ المرءِ؛ عَنْ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صُلْبَ الدِّينِ يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى قَدْرِ دِينِهِ، فَمَنْ ثَخُنَ دِينُهُ ثَخُنَ بَلَاؤُهُ، وَمَنْ ضَعُفَ دِينُهُ ضَعُفَ بَلَاؤُهُ».[3]

ثم تأملْ الحكمةَ التي من أجلها كتب الله تعالى على العبادِ الابتلاءَ؛ قال تعالى: ﴿وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ﴾، وَإِنْ تَصْبِرُوا على أقدار الله المؤلمة، وتتقوا أساب سخط الله، تفوزوا برضوان الله؛ كما قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ».[4]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٨٦

٢ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَة/ ١٥٥

٣ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٤٨١، والترمذي– أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، حديث رقم: ٢٣٩٨، وابن ماجه– كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، حديث رقم: ٤٠٢٣، والحاكم– كِتَابُ الْإِيمَانِ، حديث رقم: ١٢٠، وابن حبان– كِتَابُ الْجَنَائِزِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مُقَدَّمًا أَوْ مُؤَخَّرًا، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ وَثَوَابِ الْأَمْرَاضِ وَالْأَعْرَاضِ، حديث رقم: ٢٩٠٠، بسند صحيح

٤ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، حديث رقم: ٢٣٩٦، وابن ماجه– كِتَابُ الْفِتَنِ، بَابُ الصَّبْرِ عَلَى الْبَلَاءِ، حديث رقم: ٤٠٣١، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بسند حسن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إنَّه التمحيصُ ليظهر الصادق من الكاذب، والمؤمن التقي، من الكافر الشقي؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾.[1]

وكما يكون الابتلاءُ بِالشَّرِّ وَالضَّرَّاءِ يكون بالْخَيْرِ وَالسَّرَّاءِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾.[2]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ﴾.[3]

وقد يكون الابتلاءُ بالسَّرَّاءِ أعظمُ بكثيرٍ من الابتلاءِ بالضَّرَّاءِ؛ فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ، قَالَ: «ابْتُلِينَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالضَّرَّاءِ فَصَبَرْنَا، ثُمَّ ابْتُلِينَا بِالسَّرَّاءِ بَعْدَهُ فَلَمْ نَصْبِرْ».[4]

ومن حكمة الابتلاء كذلك، لاسيما الابتلاء بالضراء، ألا يركن الناس إلى الدنيا، ويرضوا بها بديلًا عن الجنة، فلو صفت الدنيا من الأكدار، وخلت من المنغصات، لما تعلقت القلوب بالجنة، ولما هفت الأرواح شوقًا إليها.

وصدق أَبُو العتَاهِيَةِ حين وصف الدنيا بقوله:

هِيَ الدَّارُ دَارُ الأَذَى وَدَارُ القَذَى

***** وَدَارُ الفَنَاءَ وَدَارُ الغِيَر

فَلَوْ نِلْتَهَا بِحَذَافِيْرِهَا

***** لَمُتَّ وَلَمْ تَقْضِ مِنْهَا الوَطَر

---

١ - سُورَةُ مُحَمَّدٍ: الآية/ ٣١

٢ - سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: الْآيَة/ ٣٥

٣ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٦٨

٤ - رواه الترمذي- أَبْوَابُ صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالرَّقَائِقِ وَالْوَرَعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٤٦٤، بسند حسن

يستعذبون العذاب، ويتحملون المشاق في سبيل تعليم العلم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾، لتعلم العلة التي من أجلها يستعذب العلماءُ العذاب، ويتحملون المشاق، ويبذلون أعمارهم وأموالهم في سبيل إيصال العلم للناس!

إنه عهد الله وميثاقه، الذي أخذه الله تعالى على العلماء.

روى الدارمي عنْ أَبِي كَثِيرٍ، حَدَّثَنِي أَبِي قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهُوَ جَالِسٌ عِنْدَ الْجَمْرَةِ الْوُسْطَى، وَقَدِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ يَسْتَفْتُونَهُ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَوَقَفَ عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: أَلَمْ تُنْهَ عَنِ الْفُتْيَا؟ فَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَيْهِ فَقَالَ: «أَرَقِيبٌ أَنْتَ عَلَيَّ؟ لَوْ وَضَعْتُمُ الصَّمْصَامَةَ عَلَى هَذِهِ – وَأَشَارَ إِلَى قَفَاهُ – ثُمَّ ظَنَنْتُ أَنِّي أُنْفِذُ، كَلِمَةً سَمِعْتُهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ أَنْ تُجِيزُوا عَلَيَّ، لَأَنْفَذْتُهَا».[2]

ولهذه العلة قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «لَوْلَا مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْكِتَابِ مَا حَدَّثْتُكُمْ بِشَيْءٍ، ثُمَّ تَلَا ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ﴾».[3]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٨٧

٢ – رواه الدارمي– بَابُ الْبَلَاغِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَعْلِيمِ السُّنَنِ، حديث رقم: ٥٦٢، بسند ضعيف، ورواه البخاري تعليقًا– كِتَابُ العِلْمِ، بَابٌ: العِلْمُ قَبْلَ القَوْلِ وَالعَمَلِ (١/ ٢٥)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١/ ١٦٠)

٣ – رواه الحاكم في مستدركه– كِتَابُ الْعِلْمِ، حديث رقم: ٣٦٦، وابن حبان في صحيحه– كِتَابُ الْحَظْرِ وَالْإِبَاحَةِ، بَابُ التَّوَاضُعِ وَالْكِبْرِ وَالْعُجْبِ، ذِكْرُ الزَّجْرِ عَنْ إِعْجَابِ الْمَرْءِ بِمَا أُوتِيَ مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ وَتَبَخْتُرِهِ فِي شَيْءٍ مِنْهَا، حديث رقم: ٥٦٨٤، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وحذر سبحانه وتعالى أشدَّ التحذير من كتمان العلم؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللاعِنُونَ﴾.[1]

وتوعدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، من كتم علمًا بِلِجَامٍ مِنْ النَّارِ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».[2]

ووعد الله تعالى العلماء الذين يبلغون دين الله تعالى ويعلمون شريعته بالرفعة في الدنيا والآخرة؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾.[3]

وأكرمهم أعظم كرامة؛ فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ البَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ».[4]

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّهُ لَيَسْتَغْفِرُ لِلْعَالِمِ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْبَحْرِ».[5]

---

١ – سُورَةُ البَقَرَةِ: الْآيَةُ/ ١٥٩

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ٧٥٧١، وأبو داود– كِتَاب الْعِلْمِ، بَابُ كَرَاهِيَةِ مَنْعِ الْعِلْمِ، حديث رقم: ٣٦٥٨، والترمذي– أَبْوَابُ الْعِلْمِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي كِتْمَانِ العِلْمِ، حديث رقم: ٢٦٤٩، وابن ماجه– حديث رقم: ٢٦٦، بسند صحيح

٣ – سُورَةُ الْمُجَادَلَةِ: الْآيَةُ/ ١١

٤ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ الْعِلْمِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي فَضْلِ الفِقْهِ عَلَى العِبَادَةِ، حديث رقم: ٢٦٨٥، والطبراني في الكبير– حديث رقم: ٧٩١٢، بسند صحيح

٥ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢١٧١٥، وابن ماجه– بَابُ ثَوَابِ مُعَلِّمِ النَّاسَ الْخَيْرَ، حديث رقم: ٢٣٩، وابن أبي شيبة– حديث رقم: ٤٧، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

يفرح لا لتوفيق الله تعالى له، ولكن عُجْبًا بعمله!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[1]

بعض الناس يفرحون بما أتوا ولو كانوا أتوا بمحرم، فيفرح الواحد منهم بما يذم عليه في الدنيا، ويحاسب عليه في الآخرة.

ولو كان الذي أتاه من الطاعات يفرح لا لتوفيق الله تعالى له، ولكن عجبًا بعمله، وتيها على العبادِ، وفخرًا وخيلاء.

ويحب أن يحمد بما ليس من كسبه، ولا هو في مقدوره، فإذا رأي لبعض الناس فضلًا نسبه لنفسه، وانتظر من الناس حمده، يقول: فعلت وفعلت. وهو يعلم من نفسه أنه كاذب.

ويقول: أنا وأنا وهو يعلم من نفسه أنه عاجز.

عَنْ أَسْمَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: إِنَّ لِي ضَرَّةً فَهَلْ عَلَيَّ جُنَاحٌ أَنْ أَتَشَبَّعَ مِنْ مَالِ زَوْجِي بِمَا لَمْ يُعْطِنِي؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمُتَشَبِّعُ بِمَا لَمْ يُعْطَ، كَلَابِسِ ثَوْبَيْ زُورٍ».[2]

وإنما توعدهم الله تعالى بأليم العذاب على فخرهم وخيلائهم، وفرحهم بما حرم الله تعالى؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ﴾.[3]

وعلى نسبة الفضل لأنفسهم، وطلب المحمدة على ما ليس من مفعولهم.

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٨٨

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ، حديث رقم: ٥٢١٩، ومسلم– كتاب اللِّبَاسِ وَالزِّينَةِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ التَّزْوِيرِ فِي اللِّبَاسِ وَغَيْرِهِ وَالتَّشَبُّعِ بِمَا لَمْ يُعْطَ، حديث رقم: ٢١٣٠

٣ – سُورَةُ غافِرٍ: الْآيَة/ ٧٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الملكُ ملكُهُ والأمرُ أمرُهُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، عقب ذكرِهِ لفسادِ أهلِ الكتابِ، ونبْذِهِم لعهدِ اللهِ تعالى وراءَهُم ظِهْريًّا، وكتمانِهِم العلمَ الشرعيَّ، واشترائِهِم به ثمنًا قليلًا، وهم مع ذلك، ﴿يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ [آلِ عِمْرَانَ: ١٨٨] ، ومع كل تلك الطوام العظام، والبلايا الجسام، يقولون: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾ [الْمَائِدَةِ: ١٨] ، ويقولون: ﴿لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً﴾، وكأنهم اتخذوا عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا بالأمان من العذاب!

فقال تعالى تَوْبِيخًا لهما على أمْنِهم مكرَ اللهِ تعالى - مع كفرهم - وَتَهْدِيدًا لهم على تضييعهم دين اللهِ وعلى جرأتهم على ملكِ الملوكِ، وجبَّارِ السمواتِ والأرضِ: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، وَهُوَ الْحَاكِمُ الَّذِي لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ، وَلَا يُسأل عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُون، الملكُ ملكُهُ والأمرُ أمرُهُ، لا يُطاعُ إلا بإذْنِهِ ولا يُعصى إلا بعلمِهِ، ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾.[2]

ثم بَيَّنَ سبحانه وتعالى أنه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، فإذا أراد بعبد سوءًا فلا رادَّ له: ﴿وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلا مَرَدَّ لَهُ﴾.[3]

ولا مجير عليه سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾.[4]

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٨٩

٢ - سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ: الآية/ ٨٨

٣ - سُورَةُ الرَّعْدِ: الآية/ ١١

٤ - سُورَةُ يُونُسَ: الآية/ ١٠٧

دقة متناهية، والإتقان مذهل

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.[1]

تأمل آيات الله المبثوثة في الكون، والتي لا تحصى كثرةً، ولا يحيط بها إلا خالقها، وكلها شاهدةٌ على وحدانيةِ اللهِ تعالى، وعلمِهِ الشامِلِ، وحكمَتِهِ البالغَةِ، وطلاقَةِ قدرتِهِ، وبديعِ صنعه.

تَأَمَّلْ فِي رِيَاضِ الأَرْضِ وَانْظُرْ

***** إِلَى آثارِ مَا صَنَعَ المَلِيكُ

عُيُونٍ مِنْ لجينٍ شَاخِصَاتٍ

***** بأحداقٍ كما الذَّهَب السَّبيك

عَلَى قَضِيبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِداتٍ

***** بِأَنَّ اللهَ ليسَ لَهُ شَرِيك

ومن آيات الله تعالى العظيمة تلك السماء المرفوعة بلا عمدٍ، ولا يحيط بها إلا خالقها، وتلك النجوم والكواكب، التي لا يعلم عددها إلا الله، وذلك الكون الهائل الذي تقدر المسافات بين بعض النجوم فيه وبعض ملايين السنين الضوئية، وتلك الحركة الدائبة التي لا تنقطع، لكل الكائنات، وذلك التنوع الهائل في المخلوقات، وذلك التفرد المذهل للمخلوقات في جميع الأنواع، فلا يشبه مخلوق مخلوقًا من كل وجه، ولو اتحد جنسه، بل ولو كان توأمًا له، حتى قال العلماء لا تشبه حبة رمل حبةً أخرى.

ثم تأمل ذلك التفاوت الهائل بين الكائنات، فمنها ما لا يرى ويدرك كنهه، ولكن يعلم أثره، ومنها ما لا يرى بالعين المجردةِ، ومنها الصغير الضئيل، ومنها العظيم الكبير.

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٩٠

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم تأمل تلك الدقة المتناهية، وذلك الإتقان المذهل الذي يرى في كل مخلوق، فلا يملك من يشاهد ذلك إلا أن يقول: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.[1]

ثم تأمل تلك النباتات، وانظر إلى تنوعها الهائل، وأجناسها العجيبة، فمنها ما هو غذاء، ومنها ما هو دواء، ومنها ما هو ترف ومتعة، ومنها ما هو سم زعاف، ومنها ما هو حلو، ومنها ما هو مر، ومنها ما هو ناعم كالحرير، ومنها ما خشن غاية الخشونة، ومنها ما هو في غاية اللين ومنها ما هو أشدُّ قسوة من الصخر، وكله يسقى بماء واحدٍ.

ومن أعظم دلائل وحدانية الله تعالى نفسك التي بين جنبيك، ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ﴾.[2]

وتأمل عناية الله تعالى بخلقه، عين باصرة، لما كانت في غاية الحساسية، وضعت في تجويف عظمي داخل الجمجمة، وأحيطت بجفنين، ليقيانها حرارة الصيف وبرد الشتاء، وأهداب تمنع الأتربة، وحاجب يمنع تصبب العرق عليها، هذه حكمة ما يظهر منها، وأما خفي منها عنا فأعجب؛ يقول علماء التشريح لو مدت شرايين العين الواحد لبلغت إلى الشمس، فسبحان الله الخالق العظيم.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ١٩٠

٢ - سُورَةُ الذَّارِيَاتِ: الآية/ ٢١

يتلذذ بمشقة الطاعة لَمَّا ألفها قلبه، ولانت بها جوارحه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.[1]

تأملْ قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾، وتأمل تعلق قلوبهم بذكر الله تعالى، وملازمتهم له في كل حال، مع تفكرهم في آيات الله المبثوثة في الكون، وأن ذلك الذكر وذلك التفكر هو سببُ ثناء الله تعالى عليهم بإنهم هم أولوا الألباب، لا أولئك الذين لا يذكرون الله، ولا يعتبرون بآياته الكونية، ولا يتدبرون آياته الشرعية!

ثم تأمل تلك اللذة التي تحصل لمن أدمن ذكر الله تعالى، حتى لو أعطي أحدهم الدنيا وما فيها على أن يترك ذكر الله تعالى لأبى ذلك أشد الإباء، وكذلك كل طاعة داوم عليها صاحبها، يألفها مع الوقت ويتعلق بها قلبه وتتلذذ بها روحه، فيعود التكليفُ بها راحةً، والمشقةُ فيها متعةً، والتعبُ المصاحب لها لذةً؛ ولا يحصل ذلك إلا بالمداومة عليها، والإكثار منها؛ وقد قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا بِلَالُ أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا».[2]

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «حُبِّبَ إِلَيَّ النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ».[3]

قال ابن القيم: حضرت شيخ الاسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي.[4]

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٩١

٢ – رواه أبو داود– كِتَاب الْأَدَبِ، بَابٌ فِي صَلَاةِ الْعَتَمَةِ، حديث رقم: ٤٩٨٥، والطبراني في الكبير– حديث رقم: ٦٢١٤، بسند صحيح

٣ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٢٢٩٣، والنسائي– كِتَابُ عِشْرَةِ النِّسَاءِ، بَابُ حُبِّ النِّسَاءِ، حديث رقم: ٣٩٣٩، والحاكم– كِتَابُ النِّكَاحِ، حديث رقم: ٢٦٧٦، بسند صحيح

٤ – الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٤٢)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «ثَلَاثَةٌ يُحِبُّهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: رَجُلٌ أَتَى قَوْمًا فَسَأَلَهُمْ بِاللَّهِ وَلَمْ يَسْأَلْهُمْ بِقَرَابَةٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ فَمَنَعُوهُ فَتَخَلَّفَهُمْ رَجُلٌ بِأَعْقَابِهِمْ فَأَعْطَاهُ سِرًّا لَا يَعْلَمُ بِعَطِيَّتِهِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَالَّذِي أَعْطَاهُ، وَقَوْمٌ سَارُوا لَيْلَتَهُمْ حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعْدَلُ بِهِ نَزَلُوا فَوَضَعُوا رُءُوسَهُمْ فَقَامَ يَتَمَلَّقُنِي وَيَتْلُو آيَاتِي، وَرَجُلٌ كَانَ فِي سَرِيَّةٍ فَلَقُوا الْعَدُوَّ فَانْهَزَمُوا فَأَقْبَلَ بِصَدْرِهِ حَتَّى يُقْتَلَ أَوْ يُفْتَحَ لَهُ».[1]

والشاهد قوله: «حَتَّى إِذَا كَانَ النَّوْمُ أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِمَّا يُعْدَلُ بِهِ نَزَلُوا فَوَضَعُوا رُءُوسَهُمْ فَقَامَ يَتَمَلَّقُنِي وَيَتْلُو آيَاتِي»، يستعذب التعب، ويتلذذ بمشقة الطاعة لَمَّا ألفها قلبه، ولانت بها جوارحه.

وكان سفيان الثوري رحمه الله يقول: كابدنا قيام الليل عشرين سنة وتلذذنا به عشرين سنة.

فإذا أردت أن تكون من هؤلاء ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ﴾، فاجعل لسانك دائمًا رطبًا بذكر الله تعالى.

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢١٣٤٠، والترمذي- أَبْوَابُ صِفَةِ الْجَنَّةِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٥٦٨، وصححه، والنسائي- كِتَابُ قِيَامِ اللَّيْلِ وَتَطَوُّعِ النَّهَارِ، فَضْلُ صَلَاةِ اللَّيْلِ فِي السَّفَرِ، حديث رقم: ١٦١٥، وابن خزيمة- كِتَابُ الزَّكَاةِ الْمُخْتَصَرُ مِنَ الْمُخْتَصَرِ مِنَ الْمُسْنَدِ عَلَى الشَّرِيطَةِ الَّتِي ذَكَرْتُهَا فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ، بَابُ ذِكْرِ حُبِّ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْمُخْفِي بِالصَّدَقَةِ، حديث رقم: ٢٤٥٦، والبزار- حديث رقم: ٤٠٢٧، والحاكم- كِتَابُ الزَّكَاةِ، حديث رقم: ١٥٢٠، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ

كمْ من فكرةٍ أثمرتْ عِبرَةً، وأراقتْ عَبْرَةً!

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.[1]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى فِي وَصْفِ أُولِي الْأَلْبَابِ: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾، لتعلم أن التفكر في بديع صنع الله تعالى من أجلِّ العبادات ومن أعظم القربات؛ لأنه يكون غالبًا رائدَ العبادِ إلى الإيمان باللهِ، وسببًا لاستزادتهم من الإيمان!

عَنْ عَوْنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: قُلْتُ لِأُمِّ الدَّرْدَاءِ: أَيُّ عِبَادَةِ أَبِي الدَّرْدَاءِ كَانَ أَكْثَرَ؟ قَالَتْ: «التَّفَكُّرُ وَالِاعْتِبَارُ».[2]

فكم من فكرة أثمرت عِبرَةً، وأراقت عَبْرَةً، وأورثت خشيةً، وأحيت قلبًا، وأنارت دربًا!

وتأملْ كيف أثمرَ التفكرُ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ تعظيمَ الله تعالى في قلوبهم حتى نزهوه عن النقائص، وكيف وَلَّدَ الخشية فيها حتى سألوا النجاة من عَذَابَ النَّارِ!

وهذه هي العلة في قولِ عبدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَأَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَالْحَسَنِ: «تَفَكُّرُ سَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ قِيَامِ لَيْلَةٍ».[3]

ومَنْ قلَّبَ ناظريه فيما حوله من المخلوقات رأي ما يدهشُ الألبابَ، ويذهل العقولَ، فمن المخلوقات ما تناهى كبره حتى لا يحيط به البصر، ومنها ما تناهى صغره حتى لا يدركه الطرفُ، وتتجلى حكمة الله تعالى في الدقيق والجليل على حدٍّ سواء.

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٩١

٢ – رواه النسائي في السنن الكبرى– كِتَابُ الْمَوَاعِظِ، حديث رقم: ١١٨٥٠، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٠٨)، وابن المبارك في الزهد– حديث رقم: ٢٨٦، وأبو داود في الزهد– حديث رقم: ٢٠٥

٣ – رواه أبو الشيخ في كتاب العظمة– حديث رقم: ٤٢، وأبو نعيم في الحلية (١/ ٢٠٩)، والبيهقي في الشعب– حديث رقم: ١١٧، وابن أبي شيبة– حديث رقم: ٣٥٢٢٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والكل ناطق بتوحيدِ الله، خاضع لربوبيته، مسبح بحمدِهِ؛ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.[1]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «إِنَّ نُوحًا لَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ دَعَا ابْنَيْهِ فَقَالَ: إِنِّي قَاصٌّ عَلَيْكُمَا الْوَصِيَّةَ: آمُرُكُمَا بِاثْنَيْنِ وَأَنْهَاكُمَا عَنِ اثْنَيْنِ: .....ثم قال: وَآمُرُكُمَا بِسُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ فَإِنَّهُمَا صَلَاةُ كُلِّ شَيْءٍ وَبِهَا يُرْزَقُ كُلُّ شَيْءٍ».[2]

١ – سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الآية/ ٤٤

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ٧١٠١، والحاكم– كِتَابُ الْإِيمَانِ، حديث رقم: ١٥٤، والبخاري في الأدب المفرد– بَابُ الْكِبْرِ، حديث رقم: ٥٤٨، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

لا يرون من الخلق إلا ما تراه البهائم العجماوات

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.[1]

تأمل قول المؤمنين حال تفكرهم في خلق السماوات والأرض؛ ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾، وقارن بينهم وبين من كفر بالله تعالى!

فيرى المؤمنون قدرة الله الباهرة في كل شيء، ويستدلون بتنوع الخلق على تلك القدرة التي لا حد لها، وعلى تلك الحكمة البالغة في إحكام الخلق واتقانه، وعلى وحدانية الخالق وعظمته.

ويستدلون على قدرته الباهرة في كل مخلوق دقَّ أو عَظُمَ، فيستدلون بخلق البعوضة وهي من أصغر المخلوقات جُرْمًا، على بديع صنعه، وعلى وحدانيته، وعلى عظيم حكمته، فكيف إذا علموا ما أودعه الله تعالى في تلك البعوضة من أجهزة!

ففي رأسها مائة عين، وفي فمها ثمانية وأربعون سنًّا، وفي صدرها ثلاثةُ قلوبٍ، وفيها جهازٌ حراريٌ يمكنها من رؤية الأجسام عن طريق حرارتها، وفيها جهازٌ لتحلل الدم، وجهازٌ لتمييعه ليسهل عليها امتصاصه، ويسري في خرطومها عند امتصاصه من الأجسام، وفيها جهازٌ لتخدير الأجسام التي تقف عليها، وتمتص منها الدماء، وفي خرطومها ست سكاكين، وو....

ويستدلون بخلق السماوات والأرض والنجوم والكواكب وهذا الكون الهائل الذي تصل المسافات فيه بين نقطة ونقطة إلى مليارات السنين الضوئية، يستدلون على عظمته وقدرته ووحدانيه وعلى بديع صنعه.

على حين يرى الكفارُ أن خلقَ الخلقِ نوع من العبث، لا حكمة فيه، وأن وجود الكائنات باطلٌ لا طائل من ورائه، تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا، وأن ذلك الإتقان في الخلق، وذلك الإحكام في الصنعة، وتلك النِّسَب في الكونِ وقعت مصادفةٌ، وأنَّ مردَّ ذلك كله إلى الطبيعة

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٩١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العمياء الصماء. سبحانك هذا بهتان عظيم؛ ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾.[1]

فلا يرون من الخلق إلا ما تراه البهائم العجماوات التي لا تفرق بين أرض وسماء، ولا تدرك للخلق حكمة، ولا تعرف لوجودها علة، إلا الأكل والشرب والتناكح.

ثم تأمل قول الله تبارك وتعالى وهو يقارن بين الكفار والبهائم، وانظر إلى مدى ما بين الفريقين من التطابق العجيب؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ﴾.[2]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.[3]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلا دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾.[4]

---

١ - سُورَةُ يُوسُفَ: الآية/ ١٠٥

٢ - سُورَةُ مُحَمَّدٍ: الآية/ ١٢

٣ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٧٩

٤ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ١٧١

واللهِ للنَّارُ أهونُ عَلَى الْمُحِبِ مِنْ غَضَبِ اللهِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.[1]

تأمل ذلك الدعاء العجيب التي تضمن الاستعاذة بالله تعالى من دخول النار، وتضمن الاستعاذة بالله تعالى من سخطه، فإن سخط الله تعالى هو سببُ الخزى، وتضمن الاستعاذة بالله تعالى من الخزي والمهانة يوم القيامة، وتضمن الاستعاذة من الشرك؛ فإن الشرك بالله تعالى أعظم الظلم، وتضمن الاستعاذة من الظلم، وتضمن الاستعاذة من وحشة الانفراد، وفقد النصير يوم القيامة!

تأمل تلك المعاني العجيب التي جُمِعَت في هذا الدعاء العظيم، لتعلم العلة التي من أجلها وصفهم الله تعالى لهم ب (أُولِي الْأَلْبَابِ)!

وتأمل كيف قرنوا بين دخول النار والخزي والمهانة، وأي خزي أعظم من سخط الله تعالى على العبد، وأعظم مظاهر السخط التعذيب بالنار.

كما أن من أعظم مظاهر رضى الله تعالى عن العبد أن ينجيه من النار وأن يدخله الجنة؛ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾.[2]

ولم لا يكون دخول النار خزيًا لأهلها، والله عز وجل عليهم ساخطٌ؟

هَبِ البَعْث لَم تأْتنَا نُذْرُهُ

***** وَجَاحِمَةُ النَّارِ لَم تُضرَّم

أَلَيْسَ بِكَافٍ لِذِي فِكْرَةٍ

***** حَيَاءُ المسِيْءِ مِنَ المنْعِمِ

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٩٢

٢ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٨٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فوالله للنار أهون على المحب غضب الله، ولذا كان رضى الله تعالى أفضل لأهل الجنة من الجنة.

ولذا قال الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿وَلا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾. [الشعراء: ٨٧]، أي أجرني من سخطك وعذابك.

وسمهم بأولى الألبابِ، وتوَّجَ سُؤالَهُم بخيرِ جوابٍ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾.[1]

تأمل ما توسل به المؤمنون لربهم سبحانه وتعالى ليغفر لهم ذنوبهم ويكفر عنهم سيئاتهم! واحرص على أن تنتفع بكل كلمة قالوها؛ فإن الله تعالى وسمهم بأولى الألباب، وتوج سؤالهم بخير جواب، وأثنى على ما تحلوا بهم من مكارم الخصال، ومحاسن الآداب.

توسلوا بإيمانهم بالله تعالى، وسرعة استجابتهم له، فلم يكن عندهم تواني ولا تردد، قالوا ﴿فَآمَنَّا﴾، بالفاء التي تفيد الترتيب مع التعقيب، وهي منقبة لهم تدل على مسارعتهم في مرضاة الله تعالى.

ثم تأمل فقههم الذي دل عليه سؤالهم – وحسن السؤال نصف العلم — فقد سَأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى فِي هَذَا الدُّعَاءِ ثَلَاثَةَ أَشْيَاءَ: أَوَّلُهَا: غُفْرَانُ الذُّنُوبِ، وَثَانِيهَا: تَكْفِيرُ السَّيِّئَاتِ، وَثَالِثُهَا: أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُمْ مَعَ الْأَبْرَارِ.

قدموا بين يدي سؤالهم تمجيد الرب تبارك وتعالى، والإقرار له بالعبودية: ﴿رَبَّنَا﴾.

ثم سؤالهم إياه أن يغفر لهم ذنوبَهُم، ﴿رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾، وهِيَ الْكَبَائِرُ، وهي أخشى ما يخشاه المسلم إذا سلم له توحيده؛ لذلك قدموها في الذكر لأهميتها.

ثم سؤالهم إياه أن يكفرَ عنهم سيئَاتِهِم وَهِيَ الصَّغَائِرُ: ﴿وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا﴾.

وتأمل كيف فرقوا بين الألفاظ لاختلاف مدلولاتها، فالمغفرة تكون بقبول التوبة، والتكفير يكون بالتوفيق للطاعات التي تكون سببًا لتكفير السيئات، وبالمصائب التي تجري عليهم بقدر الله تعالى.

ثم سؤالهم إياه أن يتَوَفَّاهُم مَعَ الْأَبْرَارِ، وهو مقصودٌ أعظمُ من السؤالين السابقين، أن يحشرهم اللهُ فِي جُمْلَةِ الْأَبْرَارِ، إلى الْجَنَّةِ دارِ النعيمِ والقرارِ: ﴿وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ﴾.

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٩٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي ضمن سؤالهم طلب الأمن من الفضائح على رؤوس الأشهادِ بستر الذنوب والسيئات، وهو معنى المغفرة والتكفير، ومِنَ الأمنِ مِنَ الفضَائِحِ الدخولُ فِي جُمْلَةِ الْأَبْرَارِ، حتى كأنهم ما عصوا الله تعالى طرفة عين.

فانظر إلى رجاحة عقولهم، وفقه قلوبهم، وسلامة معتقدهم، وعظيم أدبهم مع ربهم!

أرأيت لم وصفهم الله ب (أُولِي الْأَلْبَابِ)؟

أأدركت ما كانوا على من رجاحة اللب، وسمو الأدب، وعلو الرتب؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.[1]

تأمل دعاء المؤمنين (أُولِي الْأَلْبَابِ) لربهم تبارك وتعالى لتعلم بما استحقوا ذلك الوصف!

قالوا: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾. هم يعلمون تمام العلم أَنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ، وَأَنَّ مَا وَعَدَ بِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ سيتحقق حتمًا، فلم سألوا الله تعالى يؤتهم مَا وَعَدَ بِهِ عَلَى أَلْسِنَةِ رُسُلِهِ؟

الجواب أنهم سألوا اللهَ تعالى أَنْ يَجْعَلَهُمْ أهلًا لاستحقاق وعدِ الله لهم بالْكَرَامَةِ عَلَى أَلْسُنِ رُسُلِهِ، كأنهم قالوا اللهم اجعلنا مما اسْتَحَقُّوا تلك المَنْزِلَةَ، ونالتهم تلك الْكَرَامَةُ.

ولو أنهم ظنوا فِي أَنْفُسِهِمْ أنهم يستحقون تلك المنزلة ثُمَّ سَأَلُوا اللهَ تحقيقها، لكانَ ذَلِكَ مِنْهُمْ سوءُ أدبٍ مع الله؛ لأنَّ سؤالهم حينئذٍ سيتضمن الشكَّ فِي تحقيقِ وَعْدِ اللهِ.

ثم تأمل العلة التي من أجلها عدلوا هنا عن ذكر الأبرار، فلم يقولوا: رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَ به عبادك الأبرار؛ لأنَّ المقام مقام هضم النفس، وإظهار الافتقار له تعالى، ولو قالوا ذلك لكانوا قد زكوا أنفسهم.

ثم تأمل قولهم: ﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، وفيه من إظهار الضعف والافتقار والمسكنة ما فيه، وفيه اعتذار بأبلغ عبارة عما بدر منهم من الآثام، فكأنهم قالوا ربنا نحن خلق من خلقك، نصيب ونخطئ، فهب لنا ما فرطنا فيه من حقك، ولا تؤاخذنا بما اقترفت أيدينا.

وأما قولهم: ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾، فليس معناه الخوف من عدم تحقق الوعدِ، بل معناه أن يعجل الله تعالى لهم الوعدَ ليشفي به صدورهم، وتقر به أعينهم.

أرأيت إلى سبب وصف الله تعالى لهم بـ (أُولِي الْأَلْبَابِ)، أأدركت ما كانوا على من رجاحة اللب، وسمو الأدب، وعلو الرتب؟

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٩٤

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كلُ أذى له عند الله ثوابٌ، وأجرٌ لا يُكْفَرُ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾.[1]

تأمل قَولَه تَعَالَى: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ.....﴾، كيف عقب الله تعالى دعاءهم بالفاء التي تدل على الترتيب مع التعقيب، وتأمل قوله: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ﴾، ولم يقل: (فأجابهم)، وبين اسْتَجَابَ وأَجَابَ بون شاسع فلفظ: اسْتَجَابَ أَخَصُّ مِنْ أَجَابَ؛ لِأَنَّ لفظ: اسْتَجَابَ يُقَالُ لِمَنْ قَبِلَ مَا دُعِيَ إِلَيْهِ، وَلفظ أَجَابَ يُقَالُ لِمَنْ أَجَابَ بِالْقَبُولِ وَبِالرَّدِّ.

وأيضًا في اسْتَجَابَ معنى لا يوجد في أَجَابَ وهو العناية بالسؤالِ والتَّحَرِّي لِلْجَوَابِ وَالتَّهَيُّؤُ لَهُ.

ثم تأمل تقديم الجار والمجرور في: ﴿لَهُمْ﴾، ليدل على الاختصاص فهذه الاستجابة الفورية خاصة بأولئك الأبرار.

ثم تأمل لفظ: ﴿رَبُّهُمْ﴾، في هذا الموضع وما قال: (فاستجاب لهم الله)؛ لأن من مقتضى الربوبية التعهد بالرعاية فتلك عناية أخرى بهم.

ثم تأمل ذلك الحصر الذي لم يستثني أحدًا من صالحيهم، على تفاوتهم في الصلاح؛ ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ﴾، فكأنه وهب المقصرين للمجدين المجتهدين، ووعدهم وعدًا شاملًا بقبول أعمالهم.

ثم تأمل ذلك التفصيل في خصال الخير التي عملوها، الذي يغمر القلوب بالطمأنينة، ويفيض عليها من الرضا ما يملؤها سكينة وسرورًا: ﴿فَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٩٥

سَبِيلِي وَقَاتَلُوا وَقُتِلُوا﴾، ولم لا، وكلُ عناءٍ مسطَّرٌ، وكلُ همٍ وغمٍ مدوَّنٌ، وكلُ أذى له عند الله ثوابٌ، وأجرٌ لا يُكْفَرُ، ولصاحبه فضلٌ لا يُنْسَى، فكيف بالقتل في سبيل الله؟

وفي تعداد خصال الخير التي وفقهم الله تعالى إليها، يتجلى معنى قولِهِ تعالى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ فمنه التوفيق والسدادُ، وبفضله الإعانةُ والقبولُ، ومع ذلك يُثِيبُ عَلَى الْقَلِيلِ بِالْكَثِيرِ، ويتقبل أحسن العمل، ويتجاوز عن الكثير من الزلل.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أي سعادة وأي شرف أعظم من شرف من اختصه الله بفضله، وحباه بحسن مثوبته؟

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾.[1]

تأملْ الحكمةَ من قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿ثَوَابًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾، والثواب كله من الله تعالى!

وإنما خصهم الله تعالى بثوابٍ من عنده تفضيلًا وتشريفًا لهم على غيرهم، فإنَّ الثَّوَابَ إذا كان مِنْ عِنْدِ اللَّهِ كانَ فِي غَايَةِ الشَّرَفِ، وما كان كذلك كَانَ لَا مَحَالَةَ فِي غَايَةِ الْكَرَمِ وَالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ؛ لِأَنَّهُ تَعَالَى أكرم الأكرمين؛ كما قال تعالى: ﴿وَآتَيْناهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا﴾. [الْأَنْبِيَاء: ٨٤]، خصيصة اختصه الله تعالى بها تشريفا له وتكريمًا.

وهو تفخيم للثواب بعد تعظيمه بقوله ﴿ثَوَابًا﴾، وهو مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ، وَتَقْدِيرُه: لَأُثِيبَنَّهُمْ ثَوَابًا عَظِيمًا مَقْرُونًا بِالتَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ لأنَّه مِنْ عِنْدِ اللَّهِ العظيم ذي الجلال.

ثم تأمل قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ﴾.

وهو تذييلٌ واعتراضٌ يقررُ مضمونَ ما تقدم من تعظيم الثَّوَابِ، كأنه يقول: وهل يكونُ عِنْدَ اللهِ إلا حُسْنُ الثَّوَابِ؟

فأي سعادة، وأي شرف أعظم من شرف من اختصه الله تعالى بفضله، وحباه بحسن مثوبته؟

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٩٥

يؤثرون اللذة الآنية على السعادة الأبدية

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ (١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.[١]

تأمل قَولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ﴾، فإن من الناس من يفتن بالكفار وما هم عليه من السعي لإشباع الرغبات، ومعاقرة الشهوات، وتحصيل اللذات، ويقضون حياتهم بين اللعب واللهو، وأصناف المطاعم، والمشارب، والمناكح، ولا يعلمون لحياتهم غاية، ولا يعرفون لوجوهم علة غير ذلك.

وليس العجب من حالهم الذي لا يتختلفون فيه عن حال البهائم العجماوات؛ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ﴾.[٢]

بل أخبرَ اللهُ تعالى أنهم أَضَلُّ سَبِيلًا مِنَ الأَنْعَامِ؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾.[٣]

إما العجب أن يغتر بحالهم مسلم، ويغبطهم على أمر يساوون فيه البهائهم.

ولما علم الله تعالى أن مِنَ المسلمين مَنْ يؤثرون اللذة الآنية على السعادة الأبدية، ويقولون ذلك بلسان الحال ولسان المقال؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَتَاعٌ قَلِيلٌ﴾، نعم مَتَاعٌ قَلِيلٌ سرعان ما يزول وينسى، تذهب لذته وتبقى حسرته.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ،

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٩٦، ١٩٧

٢ – سُورَةُ مُحَمَّدٍ: الآية/ ١٢

٣ – سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٧٩

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ».[1]

فإذا كان أَنْعَمُ أَهْلِ الدُّنْيَا تنسيه كُلَ نعيمٍ مرَّ به صَبْغَةٌ واحدةٌ فِي النَّارِ، فكيف بمن كانت النار مأواهم ومقيله، ومستقره ومهاده! ﴿ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

١ - رواه مسلم- كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ صَبْغِ أَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا فِي النَّارِ وَصَبْغِ أَشَدِّهِمْ بُؤْسًا فِي الْجَنَّةِ، حديث رقم: ٢٨٠٧

اجتهدوا في طاعة ربهم حتى بلغوا منازل الأبرار

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾.[1]

تأملْ حَالَ المؤمنين يومَ القيامةِ وقارنْ بينه وبينَ حَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا!

الَّذِينَ كَفَرُوا مَتَاعُهُم بالدُّنيَا قَلِيلٌ، ظلٌّ زائلٌ، وسرابٌ خادعٌ، ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ.

وإنما ذكر الله تعالى الدنيا لما تكلم عن الكفار، وترك ذكرها لما تكلم عن المؤمنين لهوانها عليه؛ فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ».[2]

وَلَمَّا هانت الدنيا على خالقها تعالى، هانت على المؤمنين فاتخذوها للآخرة معبرًا، ولم يروها يومًا مغنمًا، وما كانت أكثر همهم ولا مبلغ علمهم، بل آثروا الصوم عن كثير من لذاتها، ليفطروا على النعيم في جنات الخلد.

ولترفعهم عن الدنيا وسفاسفها، وصفهم الله تعالى هنا بالتقوى، ولما خلت منها قلوبهم، وجعلوا الآخرة همهم اجتهدوا في طاعة ربهم حتى بلغوا منازل الأبرار.

ثم تأمل ما أعده الله تعالى لهم من الثواب!

لما اتقوا المحارم أثابهم الله جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، ولما ترفعوا عن المتاع القليل أثابهم الله الخلود في دار كرامته؛ ﴿جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

ثم فضيلة أخرى أن ذلك الثواب من عند الله، منحة إلهية، وهبة ربانية؛ ﴿وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾.

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٩٨

٢ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، حديث رقم: ٢٣٢٠، والبيهقي في شعب الإيمان– الزهد وقصر الأمل، حديث رقم: ٩٩٨٢، وأبو نعيم في حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٣/ ٢٥٣)، بسند صحيح

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حتى لا تقطع رجاءك من إيمانهم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.[1]

تأملْ قولَ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ.....﴾، وتأمل ما في الآية مِنْ تأكيدٍ وقَسَمٍ على تلك الحقيقة، حتى لا تقطع رجاءك من إيمانهم.

ومنذ نزلت هذه الآية الكريمة وقوافل المؤمنين من أهل الكتاب تترى، بداية من عبدِ اللهِ بنِ سلامٍ حبرِ اليهودِ، وزيدٍ بنِ سعنةَ، وَثَعْلَبَةَ بْنِ سَعْيَةَ، وَأَسَدِ بْنِ سَعْيَةَ الْقُرَظِيِّ، وَأَسَدِ بْنِ عُبَيْدٍ الْقُرَظِيِّ، وغيرهم.

وإلى يومنا هذا وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، يفتح الله تعالى قلوب كثير من الأحبار والرهبان، فيطرح الدنيا وراءه ظهريًّا، ويسعى جاهدًا لنصرة الإسلام والدفاع عن خاتم المرسلين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبيان ما في التوراة والإنجل والزبور من البشارات به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنهم: السمؤال بن يحيى الحبر اليهودي المغربي، صاحب كتاب: (إفحام اليهود)، ومنهم: الحبر سعيد بن حسن الأسكندراني، صاحب كتاب: (مسالك النظر في نبوة سيد البشر)، ومنهم: المهتدي أبو محمد عبد الحق السبتي، صاحب كتاب: (الحسام المحدود في الرد على اليهود)، ومنهم الحبر الأعظم إسرائيل بن شمؤئيل الأورشليمي، صاحب كتاب: (الرسالة السبيعية الحاوية للضوابط الإرشادية).

ومنهم: القس أنسلم تورميدا، صاحب كتاب: (تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب)، ومنهم: علي بن ربن الطبري، صاحب كتاب: الدين والدولة في إثبات نبوة النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومنهم القس عبد الأحد داود، صاحب كتاب: (محمد في الكتاي المقدس) ومنهم القس آدم نويزر أسلم هاجر من ألمانيا إلى إسطنبول، ومنهم في العصر الجديث يوسف استس الذي كان قسيسًا، وأصبح من أشهر دعاة الإسلام في العصر الحديث، وغيرهم كثير.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ١٩٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وربما يكون كثير من هؤلاء أشد تمسكًا بالإسلام من كثير ممن ولدوا مسلمين، بل وينذر حياة لخدمة الإسلام والدعوة إليه، ورد المطاعن عنه، والتعريف به وبرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حتى يكون أثره في الإسلام أعظم بكثير من كثير ممن ولدوا مسلمين.

أرأيت لم أكدَّ الله تعالى الكلام في قوله: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾. ولم أقسم في قوله: ﴿لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ﴾؟

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أول مراتب الجهادِ وأوسطه وأعلاه

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.[1]

تأمل تلك الوصية الجامعة التي ختم الله تعالى بها هذه السورة الكريمة!

لما اشتملت هذه السورة العظيمة على جملة من الأوامر والنواهي، ولما كان قدر الله تعالى يجري على كل مسلم بما يحب ويكره، ورد الأمر بالصبر: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا﴾. اصبروا على طاعة الله لتمتثلوا أمره، واصبروا عما حرم الله تعالى لتجتبوا نهيه، واصبروا على قضاءه وقدره لتحققوا العبودية له.

ولما اشتملت هذه السورة على الجهاد في سبيل الله، وغايته إعلاء كلمة الله، ولا سبيل إلى ذلك إلا بكبحِ جماحِ أعداءِ اللهِ تعالى؛ أمر الله تعالى بالمصابرة؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا﴾.

وَالْمُصَابَرَةُ مفاعلةٌ من الصَّبرِ، وَهِيَ الصَّبْرُ فِي وَجْهِ أعداءِ الإسلامِ الذين تواصوا بالصبر على حربه، ولا يتحقق النصر لأهل الإيمان إلا بتلك المصابرة، وهي أبلغ من الصبر.

ولما كان حبلُ العداءِ للإسلامِ ممتدًا، وغدرُ الأعداءِ متوقعًا أمر الله تعالى بالمرابطة، وهي دوامُ الثَّباتِ على حراسةِ الثغورِ، مع أخذِ الحيطةِ والحذرِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا﴾.

وفي الكلام ترقٍ من الأدنى للأعلى، فالصبرُ أول مراتب الجهادِ، وهو جهاد النفس، ومن حققه كان أهلا لمجاهدة العدو بالمصابرة، وهي المرتبة الثانية للجهاد، وبها يتحقق النصر، ولا تكون استدامته إلا بالمرابطة، وهي أعلى مراتب الجهاد؛ فعَنْ سَلْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «رِبَاطُ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ خَيْرٌ مِنْ صِيَامِ شَهْرٍ وَقِيَامِهِ، وَإِنْ مَاتَ جَرَى عَلَيْهِ عَمَلُهُ الَّذِي كَانَ يَعْمَلُهُ، وَأُجْرِيَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ، وَأَمِنَ الْفَتَّانَ».[2]

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٢٠٠

٢ - رواه مسلم- كِتَابُ الْإِمَارَةِ، بَابُ فَضْلِ الرِّبَاطِ فِي سَبِيلِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، حديث رقم: ١٩١٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الفهرس

Contents

المقدمة ٢
أَعْظَمُ النَّاسِ فَلَاحًا ٤
الاختِلَافُ عِلةُ كلِ تَفَرَّقٍ ٥
يومَ تسقطُ الأقنعةُ، وينكشفُ المستورُ ٧
الظلمُ مُنْتَفٍ عنِ اللَّهِ تَعَالَى إرادةً وفعلًا ٩
مرجعُ كل أمرٍ إلى الله، ولا يملك الملكَ سواه ١١
الشَّرفُ الذي يتقاصَرُ دُونَهُ كُلُ شَرَفٍ ١٣
لَيْسَ بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ ١٤
العَجَبُ كُلُ العَجَبِ مِمَنْ يلتمسُ عندَ أَذَلِّ النَّاسِ عزًّا ١٨
أَخَصُّ صفَاتِ الْيَهُودِ ٢٠
الْمَعْصِيَةُ تُورِثُ الذُّلَّ ٢٢
الإنصافُ مع النَّاسِ جميعًا منهجُ القرآن ٢٤
يومَ تتقطَعُ عَلَائِقُ الأَنْسَابِ، وتنفَصِمُ عُرَى القَرَابَاتِ ٢٦
أثرُ الكفرِ والمعاصي على الطاعاتِ والقرباتِ ٢٨
لنا في التاريخِ شواهدُ عزٍ، وأماراتُ شموخٍ ٣٠
الخوفُ مِنَ الإِسْلَامِ ٣٢
لا يرضى بمودتهم إلا خِبٌّ لئيمٌ ٣٤
غرَّهُم بريقُ الغربِ الزائفِ ٣٥

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سبيلُ النجاةِ من كيدِ الأعداءِ ٣٧
الفشلُ النتيجةُ الحتميةُ للتنازعِ والاختلافِ ٣٨
لا يبالي أحدهم بالدنيا إذا اجتمعت ٣٩
تقوى اللهِ أقرب سبيل لشكره ٤٠
كلمات تهدم كل النظريات الحربية ٤١
احذر أن تتعدي على مقام الربوبية ٤٣
أَنَّى له الفلاحُ ولم تعرفْ التَّقْوى إلى قلْبِهِ سبيلًا؟ ٤٥
ليس هذا شأنُ أهلِ الإسلامِ ٤٦
استشعر أنك في مضمار سباقٍ ٤٧
التقوى حياة على منهج الله تعالى ٤٩
غايةُ الإحسانِ، ومنتهى الفضلِ ٥١
ماذا أقول له إذا قمت بين يديه أناجيه؟ ٥٣
الخوفُ كلُ الخوفِ على من لا تعرفُ التوبةُ إليه سَبيلًا ٥٥
يتوهم أنَّ منازلها تتحقق بالأماني الأحلام ٥٧
أَلَا فَلْيَعْتَبِرِ الْمُعْتَبِرِونَ ٥٨
لا ينتفع بهدي القرآن إلا أهل الإيمان ٦٠
علاج رباني للقيام من الكبوات، وتجاوز الأزمات ٦٢
الدُّنْيَا دُوَلٌ لَا يَدُومُ عِزُّهَا ولَا ذُلُّها ٦٤
الموتُ في سبيلِ اللهِ أعظمُ كرامةٍ ٦٦
يا ويح الظالمين! ماذا ينتظرهم! ٦٨

في ظاهرِهِ شرٌّ مستطيرٌ وفي باطنه خيرٌ عظيمٌ ٧٠
واهم من يظن أن الجهاد من نوافل الطاعات..... ٧١
وضح الطريق واستبانت معالمه..... ٧٢
عجيب شأن هذا الْمُعْرِضِ عن الله تعالى! ٧٤
لَنْ تَمُوتَ نَفْسٌ حَتَّى تَسْتَوْفِيَ رِزْقَهَا..... ٧٦
شتان بين الفريقين..... ٧٨
كيف لا نبذل أرواحنا لإعلاءِ دينِ اللَّهِ تَعَالَى؟ ٨٠
أعلى أنواع الصبر، وأصدق الناس حالًا ٨٢
تأمل شدة تعلقهم بربهم، وثقتهم في موعوده تعالى ٨٤
آداب الدعاء التي تتحقق معها الإجابة، وتُستنزل بها الرحمات..... ٨٥
بلغوا الغاية في الإحسان..... ٨٧
عندها فقط نسعد في الدنيا ونفوز في الآخرة..... ٨٨
هذه مظاهر ولايته، وتلك آثار رحمته، وهذا بعض خلقه!..... ٩٠
من جند الله تعالى ما لا يعلمه سواه ٩٢
قَطْعُ التَّنَازُعِ من مَقَاصِدِ الشَّرعِ..... ٩٤
احذر أن تخونك نفسك، أو تخدعك نيتك!..... ٩٦
إنما يريد الله بك الخير ٩٨
أَعْظَمُ من كلِ نعيمٍ، وأكبرُ من كلِ لذةٍ..... ٩٩
منحة في ثياب محنة..... ١٠١
شَتَّانَ بينِ مُشَرّقٍ وَمُغَرّبٍ..... ١٠٣

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لولا الابتِلَاءُ ما كانَ له ذِكْرٌ ولا عُرِفَ له قَدْرٌ ١٠٤
لا تصفو له طاعةٌ ولا يهنأُ بتوبةٍ، ولا يتلذذُ بعبادةٍ ١٠٥
مَا أَسْعَدَ المؤمِنَ بإِيمَانِهِ، ومَا أَشْقَى الفَاجِرَ بفُجُورِهِ! ١٠٧
هل يرضى بالدنيا إلا أفسد آخرته! ١٠٩
مصيرُ الإنسانِ بعدَ موتِهِ..... ١١١
هل رأيت له في الخلقِ مثيلًا، أو تناهى إلى سمعك له شبيه؟..... ١١٣
سوءُ الخُلُقِ يُطْمِسُ كُلَ حَسَنٍ..... ١١٥
أنجعُ علاجٍ وأسرعُ ترياقٍ..... ١١٦
مَنْ لَمْ يُقَدِّمْهُ عَزْمُهُ أَخَّرَهُ عَجْزُهُ..... ١١٧
آثَرُوا اللهَ عَلَى مَا سِوَاهُ فَفَازُوا بِمَحَبَتَهُ ١١٩
لِمَاذَا تخلَّفَ النَّصْرُ؟..... ١٢١
العِزُّ فِي كَنَفِ الْعَزِيزِ ١٢٣
يا حسرةَ مَنْ يترخصُ في الحرامِ، ويا خيبةَ مَنْ يتجرأُ على مالِ اللهِ! ١٢٤
عدلٌ مطلقٌ لا تضيعُ معه مثقالُ ذرةٍ..... ١٢٦
رَجَعَ يجرُّ أذيالَ الخيبةِ ١٢٨
مِنْ أَيِّ الفَرِيقَينِ أنت؟ وَفِي أَيِّ الدَّرَجَاتِ مَنْزِلَتُكَ؟..... ١٣٠
حاد عن منهج المؤمنين، وتنكب صراط المتقين..... ١٣٢
كيف يلم شعثه مَنْ لم ير عيبه، ويعلم خطأه؟..... ١٣٤
كن على حذر في كل ما تأتي وما تذر..... ١٣٥
احذر أن تخالف بلسانك ما يعتقد جنانك..... ١٣٦

فُزْتُ وَرَبِّ الكَعْبَةِ ١٣٨
يا حَسْرَةَ مَنْ تخلفَ عَنْ سَبِيلِهِمْ، وتَنَكَّبَ طريقَهُمْ! ١٤٠
فرحٌ لا يُقارنُ بأي فرحٍ في الدنيا ١٤٢
حياةُ القلوبِ في الإيمانِ، والعيشِ في ظِلَالِ القرآنِ ١٤٤
ثقةً في موعودِ اللهِ وتوكلًا عليه ١٤٦
بُشْرَى لِمَنْ نَبَذَ كُلَ عُرْوةٍ واعْتَصَمَ بِحَبْلِ اللهِ ١٤٨
مقاصدُ الشيطانِ لإغْوَاءِ الإنسَانِ ١٥٠
كم على شفير جهنم من حزين حائر! ١٥١
لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ١٥٣
اسْتَدْرَاجَهُم بصُنُوفِ النِّعَمِ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا ١٥٥
على قدر الأحداث يكون التمحيص ١٥٧
القَدَرُ سِرُّ اللهِ فِي خَلْقِهِ ١٥٩
فليحذرْ أربابُ الأَمْوالِ إِذَا ضَنُّوا بِهَا مِنْ صَوْلَةِ الْمَالِ غَدًا! ١٦١
لو ذابَ أحدٌ حياءً لذابوا من الله تعالى حياءً! ١٦٣
لا يَلْتئِمُ ما جَرَحَ اللِّسَانُ ١٦٤
أعجبُ العجبِ أَنْ يتكلمَ الكافرُ بلسانِ أهلِ الإيمانِ ١٦٦
دولة الكفر وإن تعاظمت فإلى زوال، وإن اتسعت فإلى انهيار واضمحلال ١٦٧
لَا تُمَنِّ نَفْسَكَ بالخُلُودِ، فَإِنَّ الخُلُودَ فِي الدُّنيَا مُحَالٌ ١٦٩
مَنْ يَفْعَلِ الخَيْرَ لَا يَعْدَمْ جَوَازِيَهُ ١٧٠
الفوزُ بالجنةِ والنجاةِ مِنَ النَّارِ أعظمُ مطلوبٍ ١٧١

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لو صفت الدنيا من الأكدار لما تعلقت القلوب بالجنة ١٧٣
يستعذبون العذاب، ويتحملون المشاق في سبيل تعليم العلم..... ١٧٥
يفرح لا لتوفيق الله تعالى له، ولكن عُجْبًا بعمله! ١٧٧
الملكُ ملكُهُ والأمرُ أمرُهُ..... ١٧٨
دقة متناهية، والإتقان مذهل..... ١٧٩
يتلذذ بمشقة الطاعة لَمَّا ألفها قلبه، ولانت بها جوارحه ١٨١
كمْ من فكرةٍ أثمرتْ عِبرَةً، وأراقتْ عَبْرَةً!..... ١٨٣
لا يرون من الخلق إلا ما تراه البهائم العجماوات ١٨٥
واللهِ للنَّارُ أهونُ عَلَى الْمُحِبِ مِنْ غَضَبِ اللهِ ١٨٧
وسمهم بأولى الألبابِ، وتوَّجَ سُؤالَهُم بخيرِ جوابٍ..... ١٨٩
أأدركت ما كانوا على من رجاحة اللب، وسمو الأدب، وعلو الرتب؟..... ١٩١
كلُ أذى له عند الله ثوابٌ، وأجرٌ لا يُكْفَرُ ١٩٢
أي سعادة وأي شرف أعظم من شرف من اختصه الله بفضله، وحباه بحسن مثوبته؟... ١٩٤
يؤثرون اللذة الآنية على السعادة الأبدية..... ١٩٥
اجتهدوا في طاعة ربهم حتى بلغوا منازل الأبرار ١٩٧
حتى لا تقطع رجاءك من إيمانهم..... ١٩٨
أول مراتب الجهادِ وأوسطه وأعلاه..... ٢٠٠

هذا الكتاب منشور في